دار الكتب

العاشقة

رواية

دعاء عبد المقصود

العين الثالثة

"رواية"

دعاء عبد المقصود

"الجزء الأول"

العين الثالثة

طريق الشيطان

العاديون لا يستطيعون رؤية كم أن الظلام رائع.. لا يرون كم يقرّب الناس من بعضهم البعض.

الروح تجزع منه. الروح! هذا المكان الوحيد؛ حيث تكشف فيه الروح عن نفسها، فليس فيه وجه جميل تعشقه، وهنا تتعرّف على الروح.

الظلام! هو المكان حيث لا يلمع الذهب ولا تُعَدَّ النقود، وهو المكان الوحيد حيث يستمع فيه الناس حقًّا وبصدق.

تحتاج إلى مصدر للضوء لكن لا تحتاج أبدًا إلى مصدر للظلام، ألا ترى إنه الأصل؟!

الظلام عفوي، شرس، لا يمكن التحكّم به، بربري. شعاع ضوء قد يخترقه والقليل منه قد يمحوه!

إذًا انتظر حتى ينكسر المصباح، وسترى من يسود!

منذ آلاف السنين بدأ نوع من القوى يظهر لدى بعض الناس. منذ أن كشّر الظلام عن أنيابه وبدأ يلفظ أهواله عبر بوابته الحجرية. هؤلاء الأشخاص يتميّزون بخاصيّة (العين الثالثة) وهي رؤية

وسماع ما لا يستطيع العاديون رؤيته وسماعه. يُسمّون بالوسطاء، يتصدُّون للظلام حتى لا يضطر الآخرون لذلك.

فهذا الضابط وسيط، وتلك البائعة وسيطة، وعامل النظافة هذا هناك أيضًا وسيط، يعاونون بعضهم عند الحاجة. هم لا يعرفون بعضهم البعض شخصيًا، لكنهم يُميّزون بعضهم عن طريق نقش فرعوني على جبهة كل منهم ولا يراه غيرهم.

ويعني (الحامي) وتلك بالفعل وظيفة الوسيط، يُقال إن الفراعنة هم أول مَن خرج منهم الوسطاء ومن ثَمَّ انتشر إلى باقي بقاع المعمورة.

نرى تلك النقوش كل يوم على جدران المعابد ولم يكشف أحد منهم عمّا خلف المعنى. هم مجتمع سرّي داخل المجتمع، هم جزء من المجتمع ذوي حياة سرّية.. يعرفها الليل فقط، وتؤرق بالطبع الظلام.

يوجد في كل عصر فارس للوسطاء، ذلك الشخص الذي يقود الوسطاء في المعارك الكبرى ويتكفّل بالقضايا الصعبة ويكون الرمز الخاص به ويعني: القوي.

لا يعرف العاديون أن العالم يتغيّر بمجرّد أن تطفئ الضوء، وأن هناك ما لا يستطيعون رؤيته، لكنه يراهم ويتربّص بهم.

الوسطاء، هم جزء منّا لكننا لسنا جزءًا منهم.

بينما نتصارع ونتنافس على الوظائف والمكاسب والرفاهية، هم يواجهون الظلام ويعملون في صمت، لاينالون شكرًا أو أجرًا أو جائزة، سيموتون إذا تطلّب الأمر.

هم يحاربون كي نذهب إلى المدارس، ونلعب كرة القدم في الشوارع، ونتناحر من أجل المناصب. لا يهتمّون بأي من ذلك، هم يعملون كي يتسنّى لنا ذلك.

قد يفاجئك ما تراه العين الثالثة في العالم حولنا.

لكن! لا تقلق، فهم موجودون دائمًا من أجلنا. كل مرّة تغلق عينيك فيها تذكّر أن حَيَوات تُبدّل في مواجهة ما تراه الآن. بينما نهرُبُ من مخاوفنا، هم يخيفونها بعيدًا عنّا..إنهم الوسطاء يا سادة.

فهم في صراع مع الظلام.

كاتب مجهول

أخذتُ أتقلّب في فراشي، أستجدي النوم بعد هذا اليوم الغريب دون جدوى، نزلتُ إلى الدور السفلي للفيلا متجهًا إلى المطبخ كي أتناول بعض الماء أو بعض الحلوى من الثلاجة.

أسير حافي القدمين داخل المطبخ وسط الثعابين والأفاعي التي تزحف بجانب قدمي، لكني لم أرَها في هذا الضوء الخافت، ليس بعد.

فتحت الثلاجة وأخذت طبق مثلجات، هناك فحيح أسمعه بوضوح، وهناك حركة بدأ صوتها يعلو، أنا لا أحب أصوات حركة الأشياء التي لا أراها، خاصة في الليل.

شهيق فزفير محاولًا التماسك وإقناع نفسي بأن كل هذا من نسج خيالي. وكأن هذا يفلح أبدًا.

maktabbah.blogspot.com

أغلقتُ باب الثلاجة لأفاجأ بثعبان يقفز شاهرًا أنيابه مباشرةً نحو وجهي فأطلقت صيحة لا إرادية وسقط الطبق من يدي متناثرة أجزاؤه وكل ما به على الأرض.

من أنا؟

حسنًا، لنبدأ من جديد، من البداية هـذه المـرّة، ولكـن قبـل أن أتحدث عن بداية هذا اليوم الغريب والذي انتهـى بوجـود ثعـابين، الكثير منها في أنحاء مطبخنا، يجب أن أتحدث عني أولًا.

أنا سامي ريان، أنا وسيط، أنا في الخامسـة والعشـرين مـن العمـر، منذ عامين تقريبًا تعرّضت لحادث سيارة، أنا لم تصدمني سيارة، بل أنا من صدم أحدهم، أو شئ كهذا.

بعدها أصبحت أسمع أصواتًا في الظلام، أشباح تطلـب منـي العـون لإنقاذ شيء ما أو العثور عليـه، أو شـخص مـا تهـتم لأمـره، وأنـا لا أملك إلا تلبيةَ النداء.

هكذا أصبحت وسيطًا، مع الوقت أصبحت أرى الأشـباح التـي تـأتي لطلب المساعدة.

اكتشفتُ أننا - نحنِ الوسطاء - مجتمع نعيش داخل مجتمع، فنحن الوسطاء مجتمع سرّي، منتشرون في كل مكان، فهذا السائق وسيط، وهـذه الطالبـة وسـيطة، وذلـك الضـابط وسـيط، وهـذه البائعـة وسيطة، وعامل النظافة هذا هناك وسيط، نحن في كـل مكـان نمـد يد العون لبعضنا من وقت لآخر إذا تطلّب الأمر.

نحن لا نعرف بعضنا شخصيًا، ولكننا نستطيع تمييز بعضنا عن طريق العين الثالثة، وهي تلك الخاصية التي نستطيع بها رؤية الأشباح، ولا يمتلكها الشخص العادي، وبها أيضًا نرى ذلك النقش الموجود على جبهة كل منا، لذا بالنسبة للعامة نحن طبيعيون، أمّا في الحقيقة فنحن جدًّا مختلفون.

ألم يَبْدُ هذا كإعلان دعائي في التلفاز؟

على أي حال، وبالحديث عني، فأنا ملقَّب بفارس الوسطاء، وذلك لأني أيضًا مختلف، فالنقش على جبهتي مختلف، يكون موكلًا لي قيادة الوسطاء خلال المهامِّ الصعبة، والتي تتعدَّى الدردشة مع الأشباح، بل محاربة الظلام، حرفيًا هناك فارس واحد في كل عصر- وها أنا موجود في عصرنا الحالي.

لقد تعاملتُ مع مصاصي دماء، وجن، ومردة، وشياطين، وسحرة، وغيرهم من مخلوقات الظلام، ولكن هذه قصة أخرى ليوم آخر.

أنا أعمل مترجمًا لأحدى شركات الترجمة عن طريق الإنترنت، وذلك بعد فشلي في العمل مع أخي لدى والدي في شركته، ولكن هذا أفضل، حيث يتيح لي الوقت لممارسة عملي وسيطًا وفارسًا.

أعيش في حي (سان ستيفانو) بالأسكندرية في فيلا بُنيت عام ١٩٣٠، وهي إرث عائلي.

أعيش مع عائلتي المكونة من أبي وأمي وأخٍ يَكبَرُني بخمسةِ أعوام يُدعى "إياد"، وأخت تصغرني بعامٍ واحد تدعى"سالي"

كفاني حديثًا عني، لنَعُدْ إلى سؤال سيتكفَّل بشرح كيفية انتهاء يومي بتلك الطريقة المرعبة، والسؤال هو:
كيف بدأ يومي؟

قارئة الفنجان

عندما أسمع تلك العبارة دائمًا ما يتطرق إلى ذهني شخص واحد"السيدة سهير".هي صديقة والدتي منذ الأزل، هناك شخص مؤذٍ جدًا علّمها قراءة الفنجان.

لذا كلما جاءت لزيارة والدتي تُجلسني أنا وإخوتي أمامها، وبعد أن نشرب القهوة -والتي لا أطيقها أصلًا- تختار فنجان أحدنا كي تقرأه.

عندما تقرأ فنجاني تذكّرني نوعًا ما بقارئة الفنجان، تلك التي في قصيدة نزار قباني، ففي فنجاني هناك دائمًا دنيا مرعبة، وأصفاد، وقيود، وطريق مسدود، بمعنى آخر هناك دائمًا شيء أسود غير القهوة في فنجاني، والأدهى من ذلك أنها لا تخيب أبدًا في ذلك الأمر.

لم تأتِ للزيارة منذ بضعة سنوات ظننتُ حينها أنه بالفعل قد دهسها بُلدوزر كما كنت أدعو دائمًا، ولكن ها هي تقف عند عتبة بابنا، وبالطبع أرغمتني أمي أنا وإخوتي على استقبالها.

تقف هناك عند الباب بالتايير الأخضر- الذي لا تُغيّره إلا عندما ترتدي التايير الأزرق، وتحمل مِظلّتها البيضاء صيفًا وشتاءً، وشعرها المبعثر، تبتسم ابتسامة عريضة وكأنها تنظر إلى طفل في الثانية من العمر يعبث بأنفه.

نظرت لنا للحظة ثم قالت باسمة:

- مرحبًا أيها الأولاد

فعلّقت (سالي) -تكاد لا تخفي ابتسامتها الساخرة -:

- أولاد؟ هل نبدو في الثالثة من العمر؟

فقال لها إياد هامسًا:

- لا تعلقي ودعي الأمر يمر على خير حتى لا تغضب أمنا

فقالت: نعم أعلم، نحن مضطرون لتحمل تلك المهووسة ولكن أولاد تلك! حسنًا سأتوقف.

نظرت لهما أمي محذّرة فصمتا على الفور، اقتربت تلك السيدة مني مما أثار تساؤلي:"لما أنا؟" يا إلهي!

فأمسكتْ بوَجْنَتي بقوّة قائلة"

- وأنت أيها الخلبوص، كبِرتَ كثيرًا وأصبحتَ شابًا وسيمًا

فقلتُ متألمًا:

- هذا مؤلم، هذا مؤلم، هذا مؤلم.

"سالي" و"إياد" لم يستطيعا المقاومة فشرعا في الضحك، نظرتُ لهما مضيقًا عيني متوعدًا، ومازالت وجنتي تُعصر بين أصابع تلك السيدة، فأمسكت بزهرية الورد وحطمتها في رأسها فسقطت على الأرض فأخرجت تنهيدة ارتياح مبتسمًا.

تنبهت إلى صوت أمي قائلة:

- أليست مفاجأة رائعة؟ لقد ذهبتْ سهير للإقامة مع ابنتها وزوجها اللذين يعملان بالأردن لبعض الوقت ولكنها عادت.

وجدت السيدة "سهير" مازالت تقف أمامي ومازالت وجنتي في يدها وإني فقط كنت أتخيل ضربها، وليتني فعلت.

أنا أكره القهوة، ورغم ذلك جلسنا جميعًا في الصالون نتجرّع فناجين القهوة حتى ننتهيَ كي تمارس هي لُعبتها المفضلة وهي القراءة السوداء للطالع.

تجلس وأمي جنبًا إلى جنب على أريكة الصالون وعلى الأريكة المقابلة أجلس وبجانبي "إياد" وبجانبه "سالي".

نجلس بهدوء كالأطفال المطيعين، وفي المنتصف تقف بضجر منضدة صغيرة عليها فناجين القهوة الفارغة.

كنت أعلم أنها ستختار فنجاني، ببساطة لأنها دائمًا تختار فنجاني لذا بدَّلته بفنجان "إياد" في غفلة من الجميع.

- حسنًا سآخذ فنجان سامي.

بالطبع أنا، ومَن غيري؟

حملتِ الفنجان دون أن تنظرَ له بل معلّقة النظر عليّ قائلة:
- لا أصدق أنك كبِرْتَ هكذا يا سامي، أتذكرُ عندما كنت طفلًا ترتدي الحفاض، وتحبو هنا في الردهة بخط مستقيم حتى تصدم رأسك بالحائط وكأنك دُمْية تتحرك بزمبرك.

وهنا خرجت الضحكة رغمًا عن "سالي" وسرعان ما تحكمتْ بنفسها من جديد، بالطبع لا بد لها أن تذكّرني بأني كنت طفلًا متخلفًا على الأرجح.

قلتُ لها محاولًا إسكاتها:
- كان ذلك منذ وقت طويل.

- بالطبع أستطيع رؤية ذلك فأنت الآن شاب وسيم ذو شعر أسود ناعم وبشرة بيضاء وأنيق،

همست لإياد قائلًا:
- ألا يُعد ذلك تحرشًا؟ ألا يحقّ لي أن أركلها في وجهها الآن؟

- فقط اضبط نفسك حتى تقرأ الفنجان وترحل، فهي دائمًا ترحَلُ بعد قراءة الفنجان الأول.

بعد تنهيدة ضجر جلستُ منتظرًا قراءتها التي تشبه إلقاء الحصى على المستمع.

أخذتْ تقلّب الفنجان في يدها ويبدو عليها الاندهاش والحيرة قائلة: هممممممم، هذا مثير للاهتمام حقًا، أنا أرى أن أمامك "سكة سفر" طويلة بعض الشيء

فقلتُ ساخرًا:

-جميعهم يقولون ذلك.

وكزني "إياد" بمرفقه محاولًا إسكاتي، فقالت السيدة "سهير" بحزم:

-اصمت الآن أيها الفتى فهذا ليس كل شيء،(سكة السفر) تلك في آخرها شيء شرير لم أرَ مثل شرّه من قبلُ.

اعتدلتُ في جلستي منتبهًا، فمنذ أن أصبحتُ وسيطًا أصبح لابد لي ألا أتهاون مع أي أمر خاصة إذا اقترن بكلمة شرير!

فسألتها قلقًا:

- شرير؟! إلى أي درجة؟ ومَن أو ما هذا؟ كيف يبدو؟

فقالت ساخرة بنبرة صوتها القوية تلك:

- هل أبدو لك كساحرة شريرة أمامها بلّورة ترى فيها المستقبل؟

"من هنا أنت تبدين كساحرة شريرة فقط".

فقالت السيدة مُردفةً:

- هذا فنجان يا فتى، يحتوي على رموز ليس صور متحركة ورمزك يبدو هكذا

رسمتْ هذا الرمز بعد أن غمست يدها في رواسب القهوة ورسمته على المنضدة، انتفضت لرؤية هـذا الرمـز لسـبب لا أعرفـه وبـدون مبرر بدأتُ أهلل معترضًا.

لقد رأيت هـذا الرمـز مـن قبـل عنـدما كنـت أدرس في الأكاديميـة، وحسبما أتذكر إنه يسمى (ختم مسار اليد اليسرى) وهـو يشـير إلى السحر الأسود وطريق الشيطان، وهذا شيء شرير حقًـا، لكـن مـاذا يفعل كل هذا في فنجان أخي؟

قالت لي بثقة لم تهتز:
-دعني أكملْ يا فتى، هناك أيضًا شيء آخر، احذر الأفاعي يا ولـدي، نفذ المطلوب منك حتى تجد مخرجًا، وإياك ثم إياك والفضول.

نظر الجميع لي بتعجب وكـأن نظـراتهم تتهمنـي بـأني سأتسـبب في شيء سيئ، وهنا تهربت مـن نظـراتهم بالتـذمْر كالأطفـال فصـحتُ مهللًا:
-ليس لديك شيء جيد ولو لمرّة كي تقرئيه لي؟ يالكِ من...

قاطعَتْني أمي محذّرةً:
-سامي! احفظ لسانك قبل أن تخطئ، ماذا حدث لك؟
-أكره عندما تقرأ لنـا الطـالع، أنـا لا أحـب قـراءة الطـالع ولا شرب القهوة، فتخيل ما يمثله لي مجلس الساحرات هذا، هي دائمًـا تحـب قراءة أشياء سيئة في فنجاني بالأخص، ولا أعرف لماذا، بدليل أن هذا

ليس حتى فنجاني، ولكنها ظنت أنه كذلك فبدأت قراءة السوء تلك.

فقال إياد خجلًا:
- بل فنجانك

- ماذا؟

- لقد لاحظتك عندما بدَّلتهما لذا أعدت لكل منا فنجانه.

- يا ويلي! آسف!

قلتُها خجلًا ثم قلت مردفًا:
-على الأقل أنت ثابتة على مبدئك، أن طالعي بلون القهوة

اعتذرتْ لها أمي وكترضيةٍ لها طلبت منها قراءة الفنجان لإياد وسالي وهنا شرعت أنا بالضحك أمام نظراتهما الغاضبة.

تناولت فنجان "إياد" تقلّبه في يدها قائلة:
-أنت تهتم أكثر مما تبدي أيها الفتى، كما أنك لست بالبراءة التي تبديها ففي نفسك شيء سيئ تضمره، وبلا شك ستنفِّذه يومًا ما لكنك ستندم، أنت في صراع مع نفسك وأرى ذلك بوضوح، ونصيحتي هي أن تكون عاقلًا ولا تَقُم بما لا تطاوعك عليه نفسك.

فسألتُ متعجبًا

-مالذي تتحدثين عنه؟

فقالت دون تردد:

-هو يعلم ما أعنيه

على الرغم من أن هذا ليس من شأني، قلت منفعلًا:

- أعلم أنه يتَّسِم بالخبث، هذا ليس بجديد، أقصد أن هذا هراء، إنها تَهزِي، سأنصرف الآن.

لكن "إيادًا" ظل جالسًا كالطفل الذي بلل نفسه معلقًا نظره على الأرض وكأنه يحاول استيعاب ما قرأته تلك السيدة للتو.

نداء للإنقاذ.

ذهبت إلى حجرتي أتصبب عرقًا، خجلًا أتساءل: ما الذي حدث بالأسفل؟

كنت أتصرف كالمنتشي، أهنتُ سيدة عجوزًا، ووجهت كلامًا جارحًا لإياد، لم كل هذا؟

أظن أني كنت قلقًا من أن تكتشف كوني وسيطًا، ولسبب ما لم أرِدْ ذلك، كم أنا أحمق!

وهنا جاء صوت شاحب من خلفي قائلًا:

-سااامي.. سااامي

استدرت لأجد شبح رجل متوسط الحجم، لكن نظراته كانت غير طبيعية أعلم أنه ما من شيء طبيعي في شبح رجل يتكلم، لكن ما أعنيه هو أن نظراته لم تكن كباقي الأشباح التي عهِدتها فهو يبدو متوعدًا أكثر منه طالبًا للعون.

على أي حال تجاوزت الأمر سائلًا:

- كيف أساعدك؟

- ابحث عنها

- ما هي؟ أو من هي؟

- في أرض فضاء، جرّة نقود، اعثر عليها وأعطِها لأولادي

- أين؟

- خلف العمارة الزرقاء

نزلت مسرعًا من حجرتي في طريقي للخروج فقابلت إياد بدا عليه غاضب منّي فقلت له:

-إياد، أريد أن أعتذر عما صدر مني منذ قليل.

..-

-أنا حقًا آسف

...-

-إياد، قل شيئًا

- تريدني أن أقول شيئًا؟ حسنًا، اسمع أيها المُدلّل، أنا لا أُطيقك في الوقت الحالي، لذا ارحل إلى حيث تريد واتركني وإلا الشيء الوحيد الذي ستحصل عليه مني بعد قليل هو قبضتي في أنفك

...-

تركته وشأنه كما طلب فعادةً عندما يهدد يقوم بتنفيذ ما هـدد بـه لذا تركته.

متجهًا إلى الباب فأوقفتني سالي:
-أريد أن أتحدث معك قليلًا.

-لا وقت لدي، ربما حين أعود.

-من أين؟

-مهمة إنقاذ.

-سأذهب معك.

-بالطبع لا.

-ولم لا؟ أريد المساعدة فأنت تعلم أني أهتم لأمرك.

- أقدِّر ذلك حقًّا، آخر شخص أهـتم لأمـري وحـاول مسـاعدتي يرقـد الآن بمقابر أبو النور.

-سعيد؟

- أتتذكرينه؟ أنا لم أتجاوز الأمر ويبدو أني لن أتجاوزه أبدًا، لقد كان صديقي المقرّب، ولن أكرر الأمر مع عائلتي.

-لكن.

-لقد سمعتني، لن أكرره.

تركتها وذهبت إلى الأرض الفضاء خلف العمارة الزرقاء وهي قريبة من مسكني إلى حدٍّ ما، وبها بالطبع الكثير من أكياس القمامة وقطع أثاث قديم محطّمة والكثير الكثير من البعوض والحشرات والأشياء المقززة. بدأت البحث مرددًا:

-" أنا أكره كوني وسيطًا، أنا أكره كوني وسيطًا، أنا أكره كو.. ما هذا؟ برص؟ يا للقرف".

-أخذت أبحث لساعات، لا شيء، مازلت أبحث وفكرة واحدة تدور بذهني

-"هذا لا يبدو منطقيًا، فالأشباح لا تتحدث هكذا، فمن الصعب جدًّا عليهم الكلام دون الجسد لذا لا تعطي جملًا كاملة مثل (جرّة النقود لأولادي)، ومَن في تلك الأيام لديه جرّة ليخبئ بها شيئًا؟ وعادةً الشبح يُحدِّثني بكلماتٍ متقطّعة فكان من المفترض مثلًا أن يقول(ابحث - أرض فضاء - عمارة زرقاء)، هكذا مثل مفاتيح البحث على جوجل، وبعد العثور على الشيء المراد يظهر مرّة أخرى ويخبرني بما يريد في كلمة واحدة فمثلًا يقول: (أولادي)، أما هذا

فلا يبدو منطقيًا إلى جانب أني بحثتُ لساعات دون جدوى فلم أعثر على أي شيء غير القرف والحشرات.

وأثناء البحث سمعت صوت مكابح سيارة تعاني من السرعة فاستدرتُ فجأة لأجدها متجهة نحوي فقفزتُ مبتعدًا عن طريقها لتصطدم بالجدار لتسكن كالجثة.

اقتربت منها بحذر لأتفحّصها، لا أحد بالداخل، السيارة تبدو هالكة من البداية، فتحت الغطاء الأمامي للسيارة لأجدَ.. لا شيء، لقد كانت فارغة تماماً من ..كل شئ.إذا كيف تحركت؟

-.....

عدت للمنزل ورائحتي تسبقُني، قابلتني سالي فسألتني وهي تسد أنفها بيدها.

- سامي! ماذا كنت تفعل؟ هل كنت تسبح في القاذورات؟

-هذا وصف واحد لما كنت أفعله.

ذهبت إلى حجرتي وبعد أن اغتسلت ألقيت بنفسي على الفراش، شعرت كأني في غيبوبة لست نائمًا ولست مستيقظًا.

أخذت أتقلّب في فراشي مستجديًا النوم دون جدوى لذا نزلت للدور السفلي متجهًا للمطبخ وسرت وسط الثعابين، أحضرت صحن

المثلجات وأغلقت باب الثلاجة لأفاجأ بثعبانٍ يقفز نحو وجهي شاهرًا أنيابه، فزعت فسقط الصحن من يدي ولكن كردةً فعل فتحت باب الثلاجة مرة أخرى بسرعة ليصطدم به الثعبان قبل أن ينهش وجهي.

بخطوات بطيئة أخذت أنسحب للخلف فتعثرت قدمي في أشياء ملمسها كالحبال، بجلد ولا داعي للتخمين.

أضأتُ مِصباح المطبخ لأصطدم بهذا المشهد المروِّع، إنهم في كل مكان في المطبخ"هذا كابوس"، انتصبت مجموعة من الأفاعي تزحف نحوي تُصدِرُ هذا الفحيح المزعج، يبدو عليها العداء وأنا تجمدت في مكاني لا أقوى على الحركة، فالثعابين ثاني مسبب للفوبيا لديّ بعد الأماكن المرتفعة، أوشكت الأفاعي أن تجهز عليّ فإذ بصوت نسائي غليظ جدًّا يصدر فجأة قائلًا:

-توقفوا:

نظرت ناحية الصوت لأجد سيدة، سوداء كقطعة من الليل، شعرها أحمر كالدم، عيناها كلون شعرها، لسانها مشقوق كالأفعى، ممشوقة القوام، ترتدي فستانًا أحمر كلون شعرها لم أدر بنفسي إلا وأنا أصيح قائلًا:

-ناحش؟!!!!

لنقف هنا قليلًا، "ناحش" تلك تعاملت معها مرّة من قبل فهي جنية تسيطر بعض الشيء على الثعابين.

بعد لقائي الأول والوحيد بها تحريت عنها فلم أجد أي شيء يخصّها على الإطلاق على الإنترنت ولكني فقط وجدت اسمها كمعنًى، فـ(ناحش) بالعبرية נָחָשׁ تعني (أفعى)، هذا قد يفسّر حبها للأفاعي فهي لا تحب الثعابين فقط، بل تتحكم بهم أيضًا، تُعد (ناحش) الذراع الأيمن لـ(غاب)، وهو زعيم أحد أكبر قبائل الجن، أنا لم أقابله من قبل.

لكن ما الذي تفعله هنا في مطبخ منزلي.. مع عائلتها؟

maktabbah.blogspot.com

- مرحبًا أيها الفارس. لقد مضى بعض الوقت منذ لقائنا.

- لم أنت هنا؟

- جئتُ لأطلب ما هو لي.

- وما هذا؟

- لنبدأ من منطلق أننا اصدقاء وقد نساعد بعضنا البعض.

- نحن لسنا أصدقاء.

-أنت مخطئ، لقد أسديتُ إليك خدمة من قبل وهذا يجعلنا أصدقاء.

-هذا لا يعني لي أي شيء.

-أصحيح هذا؟..لا تريد صداقتي؟ حسنًا، لنفعلها بطريقتك.

-...

-نحن لسنا أصدقاء ولكن لنا علاقة مختلفة الآن، فأنا أمتلكك.

-ماذا تعنين؟

- سأذكِّرك، منذ بضعة شهور، خارج مغارة المقطَّم، عندما لدغتك أفعى.أنا أتحكم بالأفاعي.هل يذكِّرك هذا بشيء؟

- أتعنين؟

- نعم، لقد عقدتَ معي صفقة، أنت تعلم أننا معشر الجن، كل صفقة نعقدها مع بني البشر يجب أن تكلل بختم ولكل منّا ختمه الخاص وأنا ختمي هو عضَّة الأفعى.

- لكن هذا لا يجوز، فمن شروط الصفقات هو أن عاقد الصفقة يجب أن يعلم ذلك بل وعواقب الصفقة أيضًا

-نعم، لكنك وافقت على أن أسدي لك خدمة دون مقابل مما يعطيني ميزة أني أقرر كيف يكون المقابل، والمقابل كان الصفقة.

-..؟

-أعلم أن هذا نوع من التحايل ولكن النتيجة واضحة فأنت تحت أمري الآن أفهمت؟ أنا آمر وأنت تنفِّذ، أنا المعلم وأنت (بلية).

-أيتها الـ..

-احترس الآن، وفكِّر قبل أن تُخطئ في مديرك الجديد أو بعبارة أصحّ مديرتك الجديدة، وتذكَّر إذا لم تنفِّذ ما أطلبه، لي الحق في إنزال أي عقاب بك أريده، فمثلًا قد أسلِّط الأفاعي على منزلك، والذي يصدف أن عائلتك تعيش به.

-أيتها لا $#$* إذا اقتربت أو أحد أفراد عائلتك تلك من أي فرد من عائلتي فسوف...

-دعنا لا نُعْطِ وعودًا لن نستطيع الإيفاء بها فهذا سيئ للمظهر العام، نحن فقط يجب ألّا نصل إلى هذه الدرجة، وقد أضطر إلى عمل أشياء بعائلتك أنا حقًّا لا أريدها، لذا أفعل لكلينا معروفًا ونفِّذ أوامري ويعود الجميع إلى حياته دون خسائر.

-ماذا تريدين؟

-هكذا نستطيع أن نبدأ العمل..باختصار، الأمر بسيط للغاية، أنا فقط أريد الحصول على غرض وأنت ستحضره لي.

-ما هذا الغرض؟

-صندوق بندورا.

-..؟

- نعم، لقد سمعتَني، أريدك تحصل على صندوق بندورا من أجلي.

-ولم لا تحصلين عليه بنفسك، لم لا تطلبين هذا من (وندال) فهو تاجر ويستطيع الحصول على أي شيء-

-إذا التقيت هذا اللعين فسأحرق وجهه وأنا لا أريد مشكلة مع "غاب" فهو لديه سياسة صارمة في التعامل مع أبناء جنسنا، أنا أكره ذلك الزاحف وهو سيستغل وضع كوني أعلى منه رتبة والذراع الأيمن لـ(غاب) لذا أريدك أن تتكفل بذلك.

-وهل هذا سيعفيني من الصفقة؟

- أتمزح؟ ليتَكَ ترى بنود الصفقة التي تفنّنتُ في وضعها، هذه الصفقة ببساطة هي البطاقة الذهبية التي ستجعلني أتحكم بك كدُمْية ذات خيوط، سأعترف لك بأمر، أنت متمرد ويصعب التحكم

بك وأفعالك غير متوقعة ومليء بالمفاجآت، لذا تعد الصفقة أفضل طريقة للتحكم بك أيها الجامح.

-كم أنت صريحة وليتها تصبح عادة، هل هذا من المفترض أن يشجُعني لتنفيذ مطلبك؟

-وهل تمتلك خياراً؟

- وما الذي سيَجبِرني على طاعتك إذا كنت لن أتحرر من الصفقة؟

-أمامك حتى منتصف ليل الغد وستعرف إجابة هذا السؤال إذا لم تنفِّذ مطلبي.

-وهل (غاب) سيرضى عن ذلك إذا علم أنك تتلاعبين بالصفقات؟

- هل لديك دليل؟ كلمتك أمام كلمتي وسنرى من سيصدّق وما الذي سيفعله بالآخر.

-...

-منتصف ليل الغد..

-قالتها واختفت واختفى معها بيت الزواحف بعد أن دمر ثلث المطبخ بالطبع.

-لا أقوى على الوقوف فجلست على أحد مقاعد المطبخ أفكر فيما حدث للتو، هل سأصبح بالفعل لُعبة تلك اللعينة؟ لكني لا أملك الكثير من الخيارات فناحش جد خطيرة أخطر من ابتلاع (دبوس إبرة) يبدو أنه سيسعدني تلبية أوامرها.حتى أجد طريقة للتخلص من تلك الصفقة الملعونة..

-و حتى ذلك الوقت...

برشلونة

استيقظت فزعًا على صوت هتافات وصياح، بعد بضعة ثوان بدأت حواسي تعمل فاستطعت تمييز أن تلفاز حجرتي يعمل.. لكن لما تلفاز حجرتي يعمل؟

نهضتُ لأجد (أشرف) ابن عمي والذي يقيم في منزلنا إلى أجلِ غيرِ مسمّى يشاهد التلفاز.

بالنسبة لـ(أشرف) لقد هبط علينا بالبراشوت منذ عام فهو يتجول مع عائلته في أوروبا، عائلته مكونة من عمي (جمال) وزوجته (كريمة) وابنتهما (سارة)، والعزيز جدًّا على قلبي (أشرف)، والذي نتبادل أنا وهو مشاعر الكراهية منذ الطفولة، لا يتوقف أبدًا عن صنع المكائد لي كي يُحدث مشكلات بيني وبين عائلتي ويهوَى دائمًا أن ينتهي الشجار بيننا بجملة "سامي! لم لا تكون مثل أشرف؟

يبدو أن أشرف أرهقه السفر لذا قرر العودة إلى مصر وبالطبع أصرّ والدي على أن يمكثَ هذا الكائن الرخوي اللزج معنا في المنزل. عندما هبط علينا منذ عام، سبّب الكثير من المشكلات بيني وبين عائلتي كالمعتاد ولكنه تعرّض بدوره إلى بعضها وقام وسيط مغربي صديق لي يدعى (بوماجد) بتهديده فهدأ قليلًا لم يعد يكيد لي لكنه مازال نفس المتعجرف سليط اللسان معي فقط بالطبع من الممكن لأنه في نفس سنّي أو لسبب آخر لا أعرفه.

- ماذا تفعل في حجرتي يا أشرف؟ اخرج الآن.

- ألا ترى أني أشاهد التلفاز فالآخر الموجود في غرفة المعيشة معطل لذا سأشاهد المباراة هنا حتى أحصل على تلفازي الخاص في حجرتي "انظروا من يتمدد وكأنه في منزله"

فصحت به قائلًا:
-اخرج الآن

وببروده المعهود ولزاجته قال:
-لا أستطيع الرحيل الآن ففريقي يفوز، أنا أشجّع برشلونة

فصحت بنفاذ صبر قائلًا:
-اخرج الآن وإما ستطير لبرشلونة، اخرج.

- سامي، أنت حقًّا لا تريد إغضابي فأنت تعلم جيدًا ما أنا قادر على فعله واعتدت فعله منذ زمن.

- منذ أن علمت عائلتي بأني وسيط وهي تثق بي ولن تصدق مرّة أخرى أي شيء تدَّعيه عليّ، والآن اخرج من هنا يا كتلة من العفن.
-دفعته خارج حجرتي ثم صفعت الباب خلفه وأنا أتمتم "يهددني هذا الرخوي اللزج؟ أكره عندما يظن هذا الغبي أنه وُلد بعقلٍ، كيف له أن يُوقظني هكذا من النوم كي يشاهد برشلونة تفوز وأنا من مشجّعي ريال مدريد... متخلّف.

وندال التاجر

حان وقت استدعاء التاجر وندال كي أحضر لـ(ناحش) ما تريـده وبالطبع لاستدعاء الجنّي التاجر يجب أن أقم بعمل الطقوس.

أولًا: ذهبت إلى مبنى تحت الإنشاء

ثانيًا: دخلت المبنى ثم كتبـت جملـة "ونـدال الجنـي التـاجر" عـلى ثلاثة جدران لذلك المبنى

ثالثًا: رسمت نجمة خماسية على الأرض وفي منتصفِها وضـعتُ إنـاءً وبه بعض البخور وأشعلته ثم وضعت على نيرانـه بعـض الجنيهـات الورقية (والتـي كـان مـن الصـعب العثـور عليهـا) وأثنـاء اشـتعالها أخذت أنادي:

" وندال أحضر في الحال، وندال أحضر في الحال، وندال أ."

-ليس ضروريًا أن تنطق الثالثة.

-.

- العشب أكثر أخضرارًا، السماء أكثر صفاءً، فجأة أصبح العـالم مكانًـا أفضل..كيف حالك أيها الفارس؟ منذ أن تقابلنا آخـر مـرّة لا رسـالة أو حتى مكالمة فائتة؟ كم أنت قاسٍ.

-أنا هنا لأني كم أكره قول ذلك، لكني أحتاج إلى المساعدة.

-الفارس يطلب مساعدتي، يالحظي السعيد هـل أصـفّق أم أرقـص؟ لطالما ظننتُ أن الغناء طريقة ممتازة للتعبير عن المشاعر.

-هلا توقفت عن هذا وأخبرني إذا كنت مهتمًا.

-أنا مهتم، هلا أخبرتني عمّا نتحدث عنه هنا.

-صندوق بندورا.

-هممممم فرض مثل هذا. قيّم، في الماضي كان العثور عليه صـعبًا أما الآن أصبح مستحيلًا.

-لذلك أنا هنا.

- تريد مساعدتي يا صغيري؟ عليك أن تدفع الفاتورة مقدّمًا.

-كم تريد؟

- هل نتحدّث عن المال هنا؟ عار عليك، كيف لك أن تهينني هكـذا؟ بالله عليك أنت تحرق النقود من أجـل استحضـاري ألا يعنـي هـذا لك شيئًا؟

-إذا كيف الدفع؟

-كيف كان يدفع الفراعنة مقابل بضائعهم؟

-المقايضة؟

-والفائز بالمليون هو.

أشار عليّ ثم قال مردفًا: يبدو أن هناك من كان ينتبه في حصّة التاريخ كالطالب المجتهد.هذا جيّد لأني أكره الغباء بدرجاته، والآن هل لديك غرض سحري أو ملعون أو شيء من هذا القبيل كي تقايض به؟

-أنا...ليس لدي شيء كهذا.

-إذًا لما أنت هنا؟

-كنت فقط أتوقّع أن.

-أن ماذا؟ ماذا تتوقع مني؟ أن أقدّم ما لديّ بغير مقابل؟ ماذا تظنني، جني المصباح؟

-....

-حسنًا، لنستخدم سياسة غسيل الصحون..كالمطاعم.

-تريدني أن أعمل لديك مقابل الصندوق الذي ليس لديك؟

-ليس بعد، سأحضره اليوم وحتى أفعل ذلك ستعمل لدي.

-يا إلهي، كم عدد الذين سأعمل لـديهم بالضـبط؟ هـل أبـدو لكـم بتلك الإحترافيةأم أنكم تحبون استغلال كوني الفارس؟

- هدئ من روعك أيها الفتى كيلا تنفلت الأمـور مـن يـدَيْك، اعمـل لدي فقط هذه المرّة، ولاحظ أني لا أعقِد معـك صـفقة، هـي فقـط خدمة أمام أخرى، أحضر لي شـيئًا أريـده وسـأعطيك شـيئًا تريـده، هكذا أقوم بعملي والآن حان دوري كي أسأل، هل أنت مهتم؟

تنهيدًا موافقة مع عدم رضا حسمت الموقف فقال لي:
-إليـك الأمـر، هنـاك كلمـة واحـدة ستختـصر نصـف الموضـوع، (د/البير) هل يعني لك الاسم أي شيء؟

-نعم،(د/ألبير) كان يـدرّس لي مـادة أسـاطير وحقـائق في أكاديميـة الوسطاء.

-بالضبط، هناك شيء يهمني لديه أريدك أن تحضره لي.أنـت تعلـم جيدًا أن الأكاديمية محصّنة ضد أمثالي وضد أي شيء ينتمي للظلام، وهنا يأتي دورك يا أميري الوسيم كي تدخل وتحضر هذا الغرض مـن خزنة مكتبه وسيكون من دواعي سروري أن أحضر- الصـندوق مـن أجلك.

-لكن.

-قد أعطيك فرصة للتفكير فأنا لست في عجلة من أمري على عكسك بالطبع وتذكر أنه لديك فقط حتى منتصف الليل.

-حسنًا، لكن ما هذا الغرض؟

-برديّة.

-ماذا بها؟

-وكما قال الشاعر: ليس من شأنك.

..-

-كما أخبرتك من قبل، أحضر لي ما أريد وسأحضر لك ما تريد بتلك البساطة. وأرجوك لا تدعني أعيد كلامي مرة أخرى.

-تنهيدة المغلوب على أمره حسمت الموقف، ماذا أقول، هذا ما يفعله المضطر.

.....-

أكاديمية الوسطاء موجودة بمنطقة برج العرب بالأسكندرية، تبدو من الخارج كمصنع للمعكرونة أما من الداخل فهي عالم آخر، أرضها مصنوعة من الرخام الأبيض الفاخر يغطية أفخم أنواع السجاد الهندي والإيراني والتركي، قاعات شاسعة للدراسة مع أفخم وسائل العرض والتعليم وشاشات عرض وأجهزة حاسوب وغيرها،

ملاعب ترفيهية للرياضات المختلفة، ساحات للتدريب بأنواعة وقسم خاص لإقامة المغتربين وقسم لمكاتب المدرّسين ومكتبة خاصة تحوي العديد من الكتب القيّمة والنادرة والتي تتحدث عن العديد من الأمور التي لا يريد العامة معرفتها.

أصبحت الأكاديمية بهذا الشكل الفخم من تبرعات الوسطاء الأثرياء من أماكن مختلفة بالعالم فهم مستعدون لبذل أي شيء من أجل مساعدة غيرهم من الوسطاء المبتدئين كي يساهموا بشكل فعّال في إحداث التوازن ومواجهة قوى الظلام لحماية العالم.

مدة الدراسة بالأكاديمية لا تزيد عن خمسة أعوام، أنا مازلت أدرس فيها لكن بشكل غير منتظم وذلك لأني الفارس وأضطر للسفر كثيراً. خمسة أعوام ليست بكثير، فعلى أي حال هي ليست مدرسة حقيقية كي تقضي بها ثلث حياتك تتعلّم بها، ولكنك تظل مرتبطًا بها حتى بعد إنهاء دراستك، فقد تعود في أي وقت لاستشارة بعض المدرّسين أو البحث في المكتبة عمّا تريد ،طالما أنت وسيط فلك الحق دائمًا في أن تعود في أي وقت وتدخل متى تشاء.

"تُرى ماذا يوجد في تلك البردية ولما يردها وندال بشدة هكذا؟!"

د/ألبير

منطقة برج العرب معروفة لكل قاطني الأسكندرية، إنها نائية، وكما نسميها بالعاميّة (مقطوعة) هي منطقة بها الكثير من المصانع والشركات، لكنها صحراوية نائية، والمواصلات إلى هناك - إن وُجدت - نوع من التعذيب البدني والنفسي، والرجل البالغ لا يأمن على نفسه بها، سهّل عليّ الأمر أني أمتلك سيّارة.

بعد ساعتين من القيادة لم أعد أشعر بظهري.

وصلت أخيراً إلى مصنع المعكرونة المزعوم، عمّ (علي) البواب وحارس المصنع عندما رآني أومأ لي برأسه تحية لي - فهذه تحية الفارس، أي من الوسطاء يراني يومئ برأسه تحيّة لي - وبالطبع سمح لي بالدخول بصدر رحب، فالأمر ظل كما كان دائمًا (ممنوع الدخول لغير الوسطاء).

دخلت الأكاديمية ولأول مرة أشعر بالخيانة وكأني عميل مزدوج أو جاسوس. لكني مضطر، طالما لن يتأذّى أحد.

ذهبت مباشرةً إلى مكتب د/ألبير بالطابق الخامس حيث مكاتب المدرّسين.

وبالحديث عنه، هو رجل أنيق ذكي جدًّا، هذا النوع الذي يزعجك أحيانًا وكأنه دخل في عقلك ليقرأ أفكارك، هذا الرجل أيضًا يُعد

موسوعة متنقلة، لديه الكثير من المعلومات عن الكثير من الأشياء، يرتدي دائمًا بِزتَه الرمادية الفخمة ذات الماركة العالمية، وتبدو حقًا باهظة حتى بالنسبة لي، وساعته الرولكس الأصلية، شعره كثيف ورمادي اللون يكاد يطابق لون بذلته.

طرقت باب مكتبه هذا المصنوع من خشب الأرز المرصّع بالعاج فسمعت صوته الواثق دائمًا يقول:

- ادخل.

دخلت على استحياء فقال بعد أن ضحك ضحكة خفيفة

- انظروا من لم يأت من أجل استكمال دراسته.

- ..

أشار إلى المقعد الذي أمام مكتبه قائلًا:

- اجلس.

- ..

- تبدو كمن ارتكب جريمة لتوه، أو على وشك ذلك.

-كم يزعجني هذا الرجل، هل أمري مفضوح لتلك الدرجة أم هو حقًا بتلك الاحترافية وهذا الذكاء.

-كيف لي أن أساعدك أيها الفارس؟ إذا كان هذا ما أتيت من أجله.

"توقف عن قراءة أفكاري أرجوك توقف"

تمالكت نفسي ثم قلت:
-نعم أنا جئت من أجل المساعدة، لقد جئت من أجل..أ.

-نعم!

-من أجل أن..أستعير شيئًا.

-تستعير ماذا؟

-أستعير.

مشكلة، أنا حقًا لم أفكِّر في أي شيء في الوقت الحالي، بسرعة يجب أن أفكِّر، ماذا يجب أن أقول؟ ماذا.، جئت كي أستعير كلب أجرب، كوب لبن،كرمب محشي، كوبري ستانلي..ماذا!
-جئت كي أستعير كتابًا.

-أخطأت في الطابق، المكتبة في الدور الأرضي.

-أنا أعرف أين المكتبة، أنا فقط أردت استعارة أحد كتبك النادرة.

-أيهم؟

-أ..كتاب العزيف.

قلتها ثم أخذت أستوعب ما قلته للتو، ما الذي سأفعله بهذا الكتاب اللعين؟
"ما الذي أتحدث عنه بحق الله؟"

نظرة مكر ظهرت على وجه د/ألبير قائلًا":
-لنقل إني أصدِّق أنك هنا من أجل هذا الكتاب، على الرغم من أني أكاد أقسم أنك حتى لا تعرف ما الذي ستفعله به، لن أسألك أيضًا لما أنت هنا لأنك إذا أردت إخباري لكنت فعلت منذ خطوتك الأولى داخل مكتبي.

رنَّ هاتف مكتبه فاعتذر لي وبادر بالحديث على الهاتف.
-الحقيقة أنه كان من الممكن أن أنتظرَ خروجه من المكتب ثم أحصل أنا على البردية دون مقابلته والتعرّض لكل هذا، أنا حقًّا لا أعرف لما دخلت المكتب، أظن أنني حقًّا أردت المساعدة وكنت أتمنى لو أخبرته ولكن لسبب ما عُقد لساني، قد يكون هذا بسبب أن عائلتي مهددة من أولئك الملاعين فلم أرغب في المجازفة.

ظللتُ جالسًا في مكاني أشعر بأن حجمي يتضاءل أمام شبهاته بي، تفحّصت المكتب بعيني.إنه حقًا فخم، تماثيل من البرسلين، ستائر مخملية وسجاد هندي عتيق يثير في النفس رغبة في السير حافي القدمين كي تشعر بملمسه، وهذا المكتب المصنوع من خشب الـ لا أعرف بالضبط لكنه منقوش ويبدو أثريًا. وتلك الخزنة الحديدية.. "الخزنة!"

لقد كدت أنسى لم أنا هنا، تبدو بدائية الصنع، ليست إليكترونية أو مصنوعة من الفولاذ، وليست مخبأة أيضًا في مكان ما سرّي خلف إحدى اللوحات أو خلف مكتبة مزيّفة في المكتب وتفتح عندما تحرّك كتاب معيّن كما يحدث في الأفلام، يبدو إما صاحبها لا يعطي أهمية كافية لما بها، أو أنه يعتبر تلك الأكاديمية المكان الأكثر أمانًا على الأرض لذا لا يتوقّع الخيانة أو فقدان ما بها.أشعر بدنو قدري مع الوقت بدأت أكره نفسي حقًا.

أنهى د/ ألبير مكالمته ثم قال لي:
-ليت لدي المزيد من الوقت للدردشة لكن لدي محاضرة الآن لذا يجب أن تفارق مكتبي أيها الفارس أما بالنسبة للكتاب فقد تنازلت عنه أخيراً لمكتبة الأكاديمية لذا إذا كنت تبحث عنه حقًا -على الرغم من أني أشك في ذلك - فستجده هناك والآن..إلى اللقاء.

الترجمة: اذهب وأبحث عن المشاكل في مكان آخر، اذهب في داهية وابقَ هناك. إلى اللقاء.

خرجت ووجهي احمر خجلًا، أكاد لا أرى أمامي لكني هنا من أجل شيء ولن أرحل بدونه، لذا.

تواريت عن الأنظار حتى رحل د/ ألبير لمحاضرته ثم تسللت وفتحت مزلاج الباب بطريقة اللصوص ثم دخلت وأنا أتجاهل شعوري بالخزي وفتحت الخزنة بنفس الطريقة تقريبًا، لقد علمني تلك الطرق أصدقاء السوء الذين كنت أتسكَّع معهم قبل أن أصبح وسيطًا.

لم أجد في الخزنة أي شيء غير البردية، والتي لم أفهم منها أي شيء فهي مكتوبة بحروف عجيبة لا أعرف أي لغة تلك أو إذا كانت لغة أصلًا.

أخذت البردية وخرجت مسرعًا، أقود سيارتي في هذا الطريق الصحراوي أتصبب عرقًا وأكاد أبكي..كم أخجل من نفسي!

البساط السحري

عدت إلى منزلي أكاد لا أتنفَّس فقابلتني سالي:

-أين كنت طوال النهار؟

-قصة طويلة والآن اعذريني سأذهب لحجرتي كي أرتاح قليلًا.

-صعب، يجب أن تخبرني بما يحدث ومن ذلك الرجل الـذي كـان في حجرتك هذا الصباح؟

-إنه ليس رجلًا..إنه أشرف.

-أنا جادَّة، ولا أعنـي أشرف، أقصـد ذلـك الرجـل ذو الملابـس الرثّـة ويبدو عليه آثار عفن.

-آه ذلك الرجل!.إنه شبح.

..-

-انتظري لحظة، كيف رأيته؟ تفسير واحد من اثنين، إما أنك وسيطة وهذا مستحيل وإما أنه لم يكن شبحًا؟

-لم قد يقفز الشبح من نافذة غرفتك بعد خروجك مباشرةً؟

-هذا يفسّر الكثير لابد وأنه كان كمينًا نصبه لي أحدهم.

-لكن من؟

-..

قاطعت أمي حديثنا قائلة في عجلة:
-ها أنت عدت أخيرًا، هيا بنا.

-إلى أين؟

-سأبتاع سجادة جديدة وأحتاجك معي.

-لم؟

-كفى نقاش، هيا بنا.

كان من المفترض أن أنتظر وندال في حجرتي كي يحضر الصندوق وأعطيه البردية لكن لسبب ما هناك دائمًا من يعطلني. بعد نصف ساعة من القيادة أجدنا أمام سنتر لبيع السجاد يدعى "البساط السحري"، ضحكة ساخرة صدرت رغمًا عني ثم تمالكت نفسي.

بالداخل السجاد في كل مكان والزبائن هنا وهناك، يا إلهي المكان مزدحم لحدِّ الاختناق، سرعان ما اندمجت أمي، تتجول وأتبعها كالأبله، تمسك هذا وتتحسس ذاك ثم تهزّ رأسها بعدم رضا فتنتقل لآخر.

هنـاك أحـد المـوظفين يشرـح للزبـائن خامـات السـجاد ومصـدره، وبالطبع الأسباب التي توجب عليهم شراؤه فاقتربت منه قائلًا:

-إذًا هل تطير تلك الأشياء؟

نظر لي باحتقار ثم التفت لأحد الزبائن كي يشرح له ما سبق.

"يبدو أن الناس لم تعد تتحمّل المزاح"

maktabbah.blogspot.com

ووسط الحشود، رأيتـه.. ذلـك الشـبح الـذي لم يكـن شـبحًا، "هـل يترصّدني؟"

يقف ثابتًا هناك كتمثال الحديقة والناس تمرّ بجانبـه دون أن تهتـز شعرة منه، ينظر لي بثبات، أخذت أصارع الحشود جاهـدًا كي أصـل إليه وعندما اقتربت ركض مسرعًا وأنا خلفـه حتـى خـرج مـن بـاب خلفي للسنتر فتبعته. لم أجده أو أي أحد، لا أحـد عـلى الإطـلاق في تلك المنطقة النائية.

maktabbah.blogspot.com

" أين ذهب؟" لم أتسائل طويلًا فإذ بـشيء يصدم رأسي من الخلف، دوار سريع فسقطت راكعًا لكن سرعان ما تمالكـت نفسي. فنهضـت متفاديًا الضربة التالية..إنه هو.

-يا إلهي، من أنت؟ هل أنت لص؟

"لكن اللصوص لا تدَّعي أنها أشباح، إذًا من هذا؟"

لم يتحدّث قط، فقط ظلَّ يُلوِّح بخنجر أخرجه من سترته، إنه عازم بالفعل على قتلي، متجهّم وغاضب وجهه عابث وله هدف محدد لم يبدُ أنه سيتراجع عنه.

صحت به متفاديًا محاولاته العنيفة لإصابتي:
-توقَّف أيها المعتوه، ماذا بك؟

أصابني بجرح طفيف برقبتي وهنا صعد الدم بقوّة إلى رأسي قائلًا في غيظ.
-حسنًا، حان دوري.

استخدمت فنون القتال التي علموني إياها في الأكاديمية فسددت له لكمات فركلات حتى سقط على الأرض عاجزًا عن النهوض.أو هذا ما ظننته.

اقتربت منه بحذر ولكنه نهض فجأة ودفعني بقوّة ثم ركض مسرعًا، لم أرغب حقًّا في اتباعه هذه المرة ولكني لاحظت شيئًا في مكان سقوطه، لقد سقط منه شيئًا، لا أعني بهذا أذن أو أنف بل شيء آخر، إنه خنجر، هناك خنجر مقبضه أسود حملته لأتفحّصه، وجدت على مقبضه نقش لوجه أسد أفريقي، لقد رأيت مثله من قبل..لكن أين؟

الرجل الغامض

مرت أمام عيني ذكرى معيّنة حدثتْ منذ ثلاث سنوات كنت أصبحت لتوّي وسيطًا، عندما بدأت أسمع أصواتًا في الظلام، وظن الجميع أني مجنون يتضمّنهم أنا وقررت عائلتي إرسالي إلى مستشفى الأمراض النفسية لدى معالجتي الدكتورة نجاة.

أتذكّر أيضًا الركن المظلم الذي ظلّ يتبعني في كل مكان ولم أعرف ماهيته، وأتذكّر تلك الليلة بالتحديد.

حين دخلت حجرتي بالمستشفى ليلًا لأجد على سريري مفاجأة فهناك من ترك لي شيئًا.. وجدت خنجرًا مقبضه مزخرف عليه نقشة ذهبية لوجه أسد إفريقي، يبدو أن نصله حاد جدًّا ووجدت معه رسالة "من أجل الفارس، استعمله عند اللزوم" تعجّبت كثيراً وتساءلت: ما هذا؟ ومَن تركه؟ وأي فارس؟ وأي لزوم؟

أخذت الخنجر وخرجت باحثًا في الطرقات عمّن قد تركه هنا، لكن "لا أحد"، عدتُ إلى حجرتي، ولكن عندما حاولت فتح الباب كان موصدًا بإحكام، نظرتُ نحو الركن المظلم لأجدَه يتربص بي في الدهليز، ومن ثَمّ بدأ يزحف نحوي فركضتُ مسرعًا في الأروقة حتى وصلت إلى آخر الرُواقِ لأجد نهايةً مسدودة، غطّى الظلام جدران الرُواق زاحفًا نحوي، وأنا متجمّد مكاني وإذا بالذي يقفز من الظلام كان يبدو كالأسد الجبلي أسود اللون، وعيناه تشعان ضوءاً أحمر،

وأنيابه تبدو حديدية فِضِّية اللون، وقف هناك ينظر لي بتوعُّد ثم أخذ يزمجر مستعدًّا للهجوم تحركت ببطء وهدوء حتى مررت من جانبه لأواصلَ الركض عبر الأروقة، ركضتُ بأسرع ما استطعتُ لكنه أدركني بقفزةٍ واحدة لأسقط على وجهي فغرس حوافره في ظهري فأخذت أصرخ ألمًا وأتأوَّه بشدة، بدا وكأني وحدي في المستشفى لم يسمعني أحد..لا يوجد أحد.

تمدَّدت على ظهري وهو يقف فوقي ينظر لي لثانية كنت أعلم أنه سيلتهمني بعدها، ولم الانتظار؟ إما المقاومة وإما الاستسلام، وأنا لم أكن لأستسلم بتلك السهولة، نظرت بجانبي لأجد الخنجر ملقًى بجانبي، مددت يدي قدر المستطاع حتى أمسكت به، كشف الظلامي هذا عن أنيابه وقبل أن يفترسني طعنته في ظهره، فأصدر صريرًا في ألم كالكلب المجروح ثم ركلته بعيدًا عني فنهضتُ مسرعًا مفاجئًا نفسي وتابعت الركض متجاهلًا الألم ووقفت للحظة كي ألتقط أنفاسي، بدا أن الليلة ستكون طويلة، وجدت هذا الحيوان مازال يطاردني حتى وصلت إلى رِواق مسدود هو الآخر لكن "متى سُدَّت تلك الأروقة؟"

علمت أنه لا مفر، لا بُد من المواجهة وقد تكون هذه هي المرة الأولى في حياتي التي واجهت فيها شيئًا، وعندما أفعل أجدني أواجه حيوانًا مفترسًا خرافيًا خرج من جدار، هذا أنا وهذا حظي النَّحِس في صورته الخام.

هناك عند نهاية الرواق أنزفُ والدماء تتساقط من جروحي ولكني مازالت واقفًا على قدميَ منتظرًا منه أن يبدأ هجومه، وكالعادة وقف ينظر لي للحظة ثم يقترب ببطء، ثم أسرع فأسرع فقفزة، سقطت على ظهري مرّة أخرى وهو فوقي" بدأ هذا المشهد يتكرر كثيراً معي"، أخذنا نتدحرج واحدًا فوق الآخر على الأرض فواصلت الطعن فيه وكأن الطعنات لا تؤثر به كثيراً على الرغم من الجروح التي أحدثها به الخنجر الغامض هذا تظهر عليها آثار حروق، وكأني طعنته بخنجر حارق، آخر ما توصلت إليه هو أني طعنتُه في رقبته ثم في عينه فأصدر المزيد من الصرير وابتعد خائفًا ثم تمدد مستسلمًا على الأرض، يبدو التنفس صعبًا عليه، فاقتربت منه وأنا لا أقوى على الوقوف حاملًا الخنجر في يدي قائلًا:

- كان من الممكن أن تقضي عليّ بسهولة وتلتهمني ولكن أنت من يحب اللعب بطعامه.

فطعنته مرة أخرى في رأسه فتوقف عن التنفس ثم انصهر ليتحول إلى مادة سوداء كالزئبق فابتلعتها الأرض.
لم تعُدْ قدماي تحملاني فسقطتُ على الأرض فأصبحتِ الرؤية شبهَ ضبابية فوجدتُ من اقترب مني يبدو رجلًا لم أر ملامحه ولكنه موجود، اقترب مني ومسح على وجهي قائلًا، ستكون بخير أيها الفارس ثم أخذ الخنجر من يدي وابتعد، فبدأت الرؤية تتلاشى أمامي ثم.ظلام.

التاجر

عدتُ إلى حجرتي أخيراً بعد المغرب لأجد وندال جالسًا على أحد المقاعد.

- تعجبني حجرتُك لكن لا أظنني معجبًا بالتزامك بالمواعيد

-إذًا هكذا أنت تعمل!

-عفوًا؟

-هناك من حاول قتلي منذ قليل، أظن أنه كان ليأخذ البردية بعد أن ينتهي منّي، هل أرسلته؟

- أنا أعترض وبشدّة، كيف استطعت أن توجه لي هذا الاتّهام القاسي؟ لا تجعلني أشرع بالبكاء.

-توقّف عن المراوغة وأجب.

-يا إلهي، بالطبع لا، لقد أسأت فهمي أيها الفارس، أنا أسرق لزبائني ليس من زبائني. هناك فرق، فزبائني هنا مفعول لأجله وليس منه.

-...؟!

-إذا كان هناك من حاول سرقتها. آسف لذلك لكن صدقني ليس أنا فالاتفاق هو الاتفاق.

-ها هي برديتك.

- آه، رائع، أحسنت أيها الفارس.

وضع حقيبة الملفات الخاصّة به والتي تبدو أنها تتسع للملفات بصعوبة، أدخل كلتا يديه يخرجها حاملًا صندوق وكأن هناك بُعد آخر بداخلها، ثم قال:
-ويسعدني أن أعطيك هذا.

أخذت الصندوق، فقال لي:
-لقد تشرّفت.

ثم اختفى وتركني مع ذلك الصندوق الأسود الذي أبعاده حوالي ٣٠×٦٠سم وارتفاعه حوالي ٥٠ سم، أنظر إليه وأدعو أن يكون خاليًا.

بندورا

أجلس أمام الصندوق ناظرًا إليه في قلق ثم أنظر إلى الساعة "إنها تمام الحادية عشرة، ستأتي ناحش بعد ساعة كي تخلّصني من هذا الصندوق سيئ السمعة قبل أن.." تك تك تك.

هناك طرقٌ يَصدُر من داخل الصندوق، حدّقت به للحظة ثم انتفضت فزعًا مبتعدًا عن.." أنا حقًّا لا أريد أن أخطئ خطأ بندورا. مازال هناك طرق بالداخل مما أثار في ذهني ذكرى معيَنة، عندما كنت في تلك المحاضرة لـ د/ألبير بالأكاديمية..

دخل د/ واثق من نفسه كما نطلق عليه جميعًا دون علمه وهو يتحدَّث بثقته المعتادة:
-في مادة أساطير وحقائق سندرس اليوم أسطورة بندورا صاحبة الصندوق الشهير"صندوق بندورا" وكالمعتاد سنبدأ بالأسطورة وهي تتحدث باختصار عن أن زيوس أهدى تلك المرأة بندورا صندوق وحذَّرها من فتحه غير أنها فتحته فخرجت منه كل شرور البشرية كالكذب والحقد والحسد وغيرها فأسرعت بإغلاقة حيث لم يتبقَّ فيه إلا الأمل والذي لم يخرج منه.

عدت بذهني للوقت الحاضر مفكّرًا" لا أظن أن الأمل هو من يطرق من الداخل".

ذهب ذهني مرّة أخرى إلى المحاضرة حيث أكمل د/ألبير حديثه قائلًا:

- بالطبع يُقال أن الصندوق في الأصل جرّة وعندما تُرجمت أسطورة بندورا إلى اللاتينية حُرّفت من جرّة باليونانية إلى صندوق باللاتينية، هذه كانت الأسطورة والآن دور الحقيقة.

يجب أن أنوّه فأول الأمر أن الأسطورة اليونانية هي التي حرّفت كلمة صندوق إلى جرّة وذلك لتضليل الفضوليين ممن تُسوّل لهم أنفسهم للبحث عنه كي يسعوا خلف جرّة وفي النهاية يصلون إلى سراب.

أما عن حقيقة بندورا فهي مشعوذة إغريقية وليست ساحرة مع الاحتفاظ بالفرق بينهما، فكما تعلم أن المشعوذة هي التي تعتمد على فن صناعة التعاويذ، أي شخص يستطيع أن يكون مشعوذ أما السحرة فلديهم قوى خاصة إلى جانب استخدام التعاويذ. نعود لبندورا.

كانت تلك المشعوذة تعيش بأثينا، وفي عام ما حدث جفاف ومات كل الزرع لكن ظهرعلى أطراف أثينا شجرة يبدو أنها نَمَت بين ليلة وضحاها وهنا شرع الجميع بالهلع، وحسب الخرافات المنتشرة في ذلك العصر- بدأ الجميع بالاعتقاد أنها شجرة الشيطان وعلامة لحلول لعنة قريبة على البلد، وأنها سبب الجفاف، أما في الحقيقة

هي نوع نادر جدًا من الشجر ينمو على أقلّ قدر ممكن من الماء وسريعة النمو.

على أي حال، سارعوا لإحراق الشجرة لكن بندورا كانت قد حصلت بالفعل على بعض الخشب من الشجرة سوداء اللون تلك وصنعت منه صندوقًا، وباستعمال بعض التعاويذ استطاعت وبشكل معجز أن تجعل من ذلك الصندوق شيئًا مميزًا فأصبح له القدرة على احتجاز تلك الأشياء الحسية الشريرة لدى الإنسان كالحقد والكراهية وغيرها من الصفات السيئة.

أول تجربة له كانت من نصيب زوجها والذي توافر لديه الكثير من تلك الصفات، حيث حصلت على (أي شيء خاص به) خصلة من الشعر مثلًا أو أحد أظافره وهكذا، ثم وضعتها بالصندوق وتركته مفتوحًا بجانبه وهو نائم، بدأ الصندوق يسحب منه شيئًا ما يكاد يكون مرئيًا كالبخار الأسود ثم أغلق الصندوق تلقائيًا وبعنف.

عندم استيقظ الزوج في الصباح كان بالفعل رجل آخر مما أسعدها كثيرًا، ليس تغير حال زوجها بل نجاح التجربة هو ما أسعدها، تركت الصندوق مغلقًا وحرصت على ألا يتم فتحه كيلا يطير هذا البخار الأسود في الهواء عائدًا إلى زوجها أو يستنشقه أي شخص آخر..أو على الأقل هذا ما ظنته، ظلت تلك الصفات محبوسة بالداخل لفترة من الزمن وبعد فترة بدأت تسمع طرقًا داخل

الصندوق وصوت مخالب تخدش الصندوق من الداخل محاولة الخروج ولكن الصندوق صُمِّم ليُفتح من الخارج فقط، تجاهلت بندورا ذلك في أول الأمر لكن مع الوقت بدأ الصوت يعلو ويصبح أكثر عنفًا وهنا لعب الصندوق على أكبر صفة لدى بندورا وهي الفضول. لقد كانت فضولية للغاية، قاومت لفترة قصيرة لكنها لم تدم طويلًا، فالفضول يقتلها وسرعان ما فاز الفضول لديها وفتحت الصندوق..وليتها لم تفعل.

لثانية أو أطول أو أقصر استطاعت أن ترى ما بالصندوق قبل أن يقفز بمخالبه ويقتلع عينيها.

أخذت تصرخ وتصرخ، عاشت هكذا لفترة، تستيقظ كل ليوم وعندما تفتح عينيها ولا ترى شيئًا تشرع بالصراخ وبعد فترة ماتت حسرةً وألمًا، ومن هنا جائت المقولة المنتشرة بيننا نحن الوسطاء وبين مخلوقات الظلام، وهي" أنت فضولي كفضول بندورا"

وبوضع تلك القصة تحت المجهر سنجد أن الصندوق بعد أن يستحوذ على الصفات السيئة لدى الشخص يحولها -إذا ظلت بالداخل بما يكفي- من صفات حسّية إلى أشياء ماديّة حسب درجة بشاعتها بالطبع، تتحول إلى أشياء شرسة ذات مخالب أو أنياب وإذا فتحت الصندوق لن تعطيك فرصة لتدرس خياراتك بل ستهاجمك وتجعلك تصرخ لوقت طويل، وأستطيع أن أقول إن

درس اليوم لم يكن عن الأساطير مثلما كان عن الفضول، الفضول عند العامة يقتل القطط أو يقطع ذيلها، أما لدينا فهو يقتلع أعين البشر أو يشوههم أو أسوأ، الفضول في حد ذاته ليس شريرًا أو سيئًا عندما يكون معتدلً،ا أما إذا زاد عن الحدّ فماذا أقول؟

إذا كنت سأوجه نصيحة واحدة لشخص ما ستكون "لا تكن فضوليًا كفضول بندورا".

عدت بذهني مرّة أخرى إلى الوقت الحاضر وأنا أقول لنفسي:
"نعم لا يجب أن أكون فضوليًا كفضول بندورا، كل ما في الأمر هو يجب أن أنتظر نصف ساعة فقط وستكون هنا ناحش فأعطيها الصندوق وأتخلّص أخيرًا منه. "تك تك تك"

مازال هناك طرق مما يطرق على فضولي ليستيقظ فقلت لنفسي:
"مهما كان ما بالداخل لا أظن أنه شرير أو سيئ لتلك الدرجة فأنا لا أسمع صوت خدش أو حَكّا، فقط طرق وكأن مهما كان ما بالداخل يطلب الخروج بأدب.

-لا، لا تفعل ذلك يا سامي، لا تكن فضوليًا كفضول بندورا، فقط بضعة دقائق وستكون ناحش هنا.أهدأ" قلت ذلك لنفسي ويا ليته أفلح، كل ما فعلته هو أني فتحت الصندوق وركضت مسرعًا واختبأت خلف أحد المقاعد، الصندوق على المنضدة الصغيرة هناك مفتوح.ولم يخرج منه شيء، أنا لا أرى ما بالداخل لأني بعيد نسبيًا

عنه ولكن لا يبدو أن هناك ما قفز أو سيقفز منه، لذا نهضت بهدوء واقتربت بحرص منه شاهرًا الخنجر الذي عثرت عليه محاولًا أن أظهِر إلى أنه مهما كان ما بالصندوق أني لا أمزح.
رويدًا رويدًا أقترب حتى اتسعت زاوية الرؤية وظهر بوضوح ما بالصندوق.

فصحت متفاجئًا:

-البردية؟!!!

تلك البردية التي سرقتها أقصد أحضرتها إلى وندال اليوم من مكتب د/ألبير، لكن ما الذي تفعله داخل الصندوق؟ وكيف وصلت إلى الداخل؟
أخذتها متفحّصًا إياها، إنه ذلك النص الذي لم أفهمه ولكن هذه المرّة هناك ترجمة عربية أسفله فماذا تقول؟
أنا أتطوع للبحث عن الأمير
أبحث عن سكة سفر
أريد تحرير الأسير
قبل أن يكتمل القمر
أنا أتحدى المسافر
قرأت ذلك لأجد نفسي أسقط على ظهري فوق سريري وكأني سقطت في المحيط، أغوص وأغوص، والضوء يخفت شيئًا فشيئًا حتى يختفي فصمتٌ..فظلامٌ.

فتحت عينيَ فجأة لأجدني أرتدي ملابس الحرب القديمة، خوذة حديدية وقميص حديدي، في حزامي سيف، وفي يدي خنجر، مختبئ خلف أحد التلال ومعي حوالي خمسة عشر رجلًا نراقب هذا المشهد المروِّع..

كيانات تشبه الإنسان لكنها أنحف قليلًا وأطول، لا يوجد لوجهها أي ملامح، لا عينان ولا أنف، فقط فمٌ مليء بالأسنان الطويلة والحادة.

"ما هذا بحق الله؟"

اقترب مني أحد رجالي سائلًا بتركية قوية:

-ماذا سنفعل يا سيدي؟

ارتبكت قليلًا فبدأت الذكريات تصطدم برأسي كالمطرقة وأصبح فجأة لدي ذاكرة مزدوجة الأولى أني سامي ريان الوسيط السكندري الشاب في أوائل العشرينات، والثانية أني أيخان (تُنطق أيهان) دنيز Ayhan Deniz القائد العثماني مرموق القدر من قادة إحدى فيالق فرق الإنكشارية في منتصف الثلاثينات من عمري.

سألني الجندي مرة أخرى فبدأت خبرتي القديمة من حياتي التي لم أعشها والغريبة عني تمامًا كأيخان دنيز تتدفّق إلى ذهني وبدا الوضع واضحًا.

غيلان، هي التي نراقبها من خلف التل، نوع من الغيلان، عنيفة وقوية على الرغم من عدم وجود العينين إلا أنها تستطيع تحديد الاتجاهات وتستشعر بوجود أحد بالجوار، سريعة كالفهد وقوية للغاية..نحن في مأزق على ما يبدو.

ألقيت نظرة على رجالي، جميعهم وسطاء وكذلك أنا وسيط فقط ولست فارسًا.

-ماذا سنفعل يا سيدي؟

سأل مرة أخرى منتظرًا الإجابة، يتطلع إليّ الجميع ويبدو أنهم لا يشكّون بحكمتي، هم في انتظار الخطة المحكمة.

في ذهني مازلت أتكيّف مع تلك الذكريات التي لم أعشها يومًا، فأنا أقود هذا الفَيْلَق الصغير جدًّا والمُلَقَّب بـ Gizli Kolordu أو الفيلق السرّي، وهو فيلق صغير من الوسطاء نخرج في غفلة عن باقي فرقة الإنكشارية كي نصطاد بعض مخلوقات الظلام التي توجد في الجوار، فرقة الإنكشارية التي ننتمي إليها لا تعرف أي شيء عن نشاطنا السرّي، ننضم إليهم في الحملات والحروب كجزء لا يتجزّء عنهم

ولكن عندما تصلنا إخبارية بأن هناك شيئًا مظلمًا في الجوار نـذهب للقضاء عليه.
-هل هناك خطة ياسيدي؟

سأل الجندي مرّة أخرى.

نظرت إلى هذا المشهد والغيلان على ضوء القمر تلتهم على ما يبدو أنهم بعض البشر اختطفوهم من إحدى القـرى المجـاورة، تلـتهمهم بشراسة وحيوانية، فقلت لرجالي:
- حسنًا إليكم الخطة.

نظرت للجندي الذي لا يتوقّف عن سؤالي وقلت له:
-عزيز، اذهب للمعسكر وأحضر لنا بعض كلاب الحراسة.
-حاضر يا سيدي.

أسرع الجندي بجِد ورشاقة يركض متجهًا نحـو المعسـكر والـذي لم يكن بعيدًا، فقلت للجنود:
- سأسمي هذة الخطة" خدعة الطعم الثاني"أروني أولًا خناجركم

رفعوا خناجرهم فجميعها كالذي أحملـه مكتـوب عـلى مقـبض كـل مـنهم كلمـة عربيـة وهـي "الجـلّاد" أتـذكر عنـدما كنـت أدرس بالأكاديمية في حياتي كسامي أنهم أخبرونا أن أسلحة (الجلاد) خاصة بالوسطاء تقتل مخلوقات الظلام بشكل أسرع من الأسلحة العادية،

فقلت لجنودي بعد أن شرحت لهم الخطة.
-تـذكروا أن تسـتهدفوا الـرأس، كونـوا ثـاقبين، وثقـوا بأنفسـكم ولا تترددوا، جاهزون؟

أجـابو جميعًـا بالإيجـاب، حـضر عزيـز ومعـه خمسـة مـن كـلاب الحراسة الخاصة بمعسكر الإنكشارية أو (الميكْى چرى)[1]، فقلت له:
-حسنًا، الآن أطلق الكلاب

انطلقت الكلاب متجهة نحو بقايا اللحم والعظـم الموجـودة وسـط الغيلان، انتبهت الغيلان لهم وبدأت بمطاردتهم ولم يسـتغرق الأمـر إلا دقيقة واحدة، فأمسكت بالكلاب وبدأت بالتهامهم فخرجت أنـا وستة من الرجال أثناء انشغالهم بالتهام الكلاب فانقضضـنا علـيهم من الخلف وبطعنات قوية في الرأس قتلنـا عـددًا لابـأس بـه، انتبـه الآخرون لنا وفي لمح البصر كان يمسك بكـل منـا اثنـان إن لم يكونـوا ثلاثة على وشك التهامنـا وهنـا خـرج عزيـز مـع الثمانيـة الآخـرين ووجهوا طعناتهم إلى رؤوس هؤلاء المسوخ وقتلوا منهم عـددًا آخـر وعندما يحول هؤلاء المسـوخ انتبـاههم نحـو عزيـز ورجالـه أنقـضَّ عليهم أنا ورجالي حتى قضينا عليهم جميعًا.

---

(1) الإنكشارية كلمة محرّفة عن الأصل التركي فبالعثمانية تُكتب هكذا (يكْى چرى) (كْ): تُسمّى كاف نونية وتُنطق (ن)
(چ) تنطق مثل(ch) بالإنجليزية
وبالتركية الحديثة تُكتب yeni çeri أي الجيش الجديد

الشهزادة (الشاه زاده)[2]

عدت إلى خيمتي بالمعسكر لأجد هناك من بالداخل، نظر لي نظرة عتاب ثم قال بهدوء:
-كيف حالك أيخان؟

نظرت له فبدأت الذكريات تتدفّق إلى ذهني مرة أخرى وكأني أتعرف إلى نفسي داخل رأسي، فهذا الشاب الذي أمامي والذي يرتدي زي الأمراء الحريري هو الشاهزاده مصطفى الابن الأكبر للسلطان العثماني سليمان القانوني وهو هنا في خيمتي، استغرقني بعض الوقت حتى أجبت عن سؤاله:
-بخير أيها الشاهزاده.أشكرك

نظرت لجبهته لأجده وسيطًا، الذكريات تتدفق إلى رأسي من جديد، الشاه زاده هو من كوّن هذا الفيلق السري من وسطاء فرقة (الليكّى چرى) وجعلني قائدًا عليهم، فنحن فرقة مُدَرَّبة ومنظّمة على ما يبدو وكما يعلم الجميع أن فرقة (الليكّى چرى) هي أقوى فرَق الجيش العثماني لذا فنحن الأفضل، قاطع الشاهزاده سلسلة أفكاري سائلًا:
-لِمَ لَمْ تنتظرني كي أخرج معكم كالمعتاد يا أيخان؟

---

[2] الشاهزاده(الشاه زاده): هو لقب يُطلق على أبناء السلاطين العثمانيين.

-أعتذر لكن لم نكن لنتمكّن من الانتظار أكثر لقد ألتهمت تلك الغيلان بالفعل خمسة من القرويين واثنين من رجالنا، كان يجب أن نتحرك

-...

-نحن أصدقاء أيها الشاهزاده، لم أكن لأتجاهلك أو أنقص من قدرك، لقد عيّنتني قائدًا للفيلق السري كي أتخذ القرارات الصائبة وهذا ما فعلته.

ابتسم الشاهزاده معبراً عن اقتناعه ثم سأل:

-وما تقريرك عن هذه المهمة؟

-قضينا على واحد وعشرين غولًا ولا خسائر من جانبنا فقط بعض الإصابات.

-أستطيع رؤية ذلك.

ساعدني الشاهزاده على تضميد جراحي بنفسه فكان ساعدي ينزف بشِدَّة إثر عضَّة أحد الغيلان فقلت له:

-كان الوضع جنونيًا هناك، ليتك حضرت.

-الظلام لم يُغلِق بوابته فهناك دائمًا معارك.

-هل أحضرت لنا مهمة أخرى؟

-ليس هذه المرة، لا أريد أن يتطير الرجال من رؤيتي.

هَمْ الشاهزاده بالرحيل.

-إلى أين؟

- تـأخَّر الوقـت، يجـب أن أعـود إلى منـزلي الآن فـأخي سـيأتي غـدًا للزيارة.

-جهانگير سيأتي لقونية؟(تُنطَق چهانجير).

- نعم، فمنذ أن أبعدني -أقصد ولّاني- والدي على قونية لم أعـد أراه كثيرًا، ولكن هاهو قادم، فأنت تعلم أنه المفضَّل لدي من إخوتي.

-نعم، وأنت المفضَّل لديه أيضًا.

-ليتني لم أكن ابن السلطان، كنت أتمنّى أن أكون شخصًا طبيعيًا لـه علاقة طبيعية مع إخوته، لا نصنع المكائد لبعضنا، بل نقتـل بعضـنا من أجل كرسي.

-صـدقني، لـيس مـن الضرـوري أن تكـون ابـن سـلطان كي يكرهـك إخوتك فأنا لست كذلك وأخي..أشعر كثيرًا أنه يكرهني.

-أي أخ؟ أنت لس لديك أي إخوة.

كنت مشيرًا بـذلك إلى أخـي محمـد مـن حيـاتي كسـامي ويبـدو أن أيخان ليس لديه إخوة.

-أ..أنسى الأمر فقط صل له تحياتي.

-أتمزح؟ سأحضره غدًا للمعسكر كي تحييه بنفسك.

أيخان

بعد بضعة أشهر فقط اكتشفت أني حظيت بأفضل صديقين قد أحصل عليهما يومًا الشاهزاده مصطفى وأخيه جهانگير، كانا بمثابة أخوين لي وأفضل، على الرغم من أن أحدهما ابن لتلك الأفعى روكسلانه أو هكذا كان يطلق عليها رجالنا من دون علم السلطان، أما الشاهزاده مصطفى فهو بن للسلطان من زوجته الأولى "ماه دوران" (تُنطق دڤران).

اعتاد جهانگير أن يأتي من وقت لآخر إلى معسكرنا بقونية ويلقي بعض أشعاره والتي نالت استحساننا جميعًا لقد كان ذا موهبة في هذا المجال، لكن أخاه مصطفى يحظى بصفات القائد، هادئ الطباع وذكي وحسن الخلق، لقد تنبّأنا له جميعًا أنه سيكون السلطان الجديد بعد والده، ولأني لم أكن قارئًا جيدًا للتاريخ، لم أكن أعرف ما سيحدث بعد ذلك، وتلك الفاجعة التي سيجزع لها قلب الكثيرين.

ذات ليلة دخل إلى خيمتي الشاهزاده مصطفى ليجدني شارد الذهن مستغرقًا في التفكير فسألني باهتمام:
-ماذا بك يا أيخان؟

- كأيخان لم أكن أشارك همومي مع أحد ولم أكن أتحدَّث عن مشاعري فكنت أصف ذلك بأمور الفتيات وليس من شيم الرجال.

-لقد نال مني اللغز الذي لم أحله بعد، وتلك الإجابات التي بـدا أني لن أحصل عليها يومًا عن سؤالين كبيرين، كيف حدث هـذا؟ وكيـف سأعود لحياتي السابقة؟

-أنا سامي ريان لست أيخان دنيز لكن حتى بالنسبة للوسطاء فهذا جنون مُطبَق، كيف لي أن أشرح له شيئًا كهذا؟

لذا آثرت الصمت.

مر عام كامل على كوني أيخان لدرجة أن سامي بـدأ يـتلاشى لم أعـد أتذكَّره كثيراً ولم أعد واثقًا أني أريد أن أكونه مرة أخرى.

أصرّ الشاهزاده على أن هناك خطب بي خصوصًا أني أحيانًـا أتصرف بغرابة "بالنسبه لهم" لم أستطع أن أبقي فمي مغلقًا خصوصًـا بعـد أن بدأ الشاهزاده يشعر بالإهانة لإخفائي أمورًا عنه قائلًا:
-ألم تعد تراني أهلًا للثقة الآن يا أيخان؟

لم يكن هناك بدٌّ من أن أخبره إلى جانب أنه قد يساعدني عـلى حـل اللغز الذي أصبحت جزءًا منه الآن.

وقفت للحظة لاستيعاب ما قلته لتوي فقلت ملطفًا:
-أعلم أن هذا جنون حتى بالنسبة للوسطاء لكنه حدث.

-طوال هذا العام وأنت مزدوج الشخصية؟ لكني أعرفك لوقت طويل، أطول من ذلك العام.

-أعلم، لدي ذكريات تخبرني بذلك لكني لم أعش أيا منها فقط ذلك العام، لا أعرف كيف أتصرف لقد أرقني التفكير لوقت طويل.

maktabbah.blogspot.com

-الجن مخادع، أعترف لك بذلك، يعطونك الكثير من الخيارات ثم يتركونك تتساءل، ماذا لو كان اختياري مختلفًا.. سؤال لن تعرف إجابته أبدًا.

-عن خبرة؟

-خبرة ليست سيئة، لكن كبار القبائل لا يخدعون.

-هي ليست كبيرة القبيلة بل مساعدة كبيرها.

- إذًا كان يجب أن تبحث عن كبير قبيلتها وتخبره بما حدث فمنصب كبير القبيلة منصب شرفي إذا لم يكن هناك شرف لا يكون هناك منصب.

-لم يكن ليصدقني.

-هل تعلم أن كبراء قبائل الجن لهم القدرة على قراءة الأفكار ورؤية حدث معين مستخدمًا عينيك؟ وذلك بعد موافقتك بالطبع.

-حقًا؟

-نعم.

-هذا يعني أنك تصدقني؟

-لم تكن نفسك منذ عام بل أفضل بكثير، على الرغم من أنه سيؤلمني كثيراً أن يرحل عني صديقي المقرب إلا أن الأنانية لا يجب أن تجد مكانها بين الأصدقاء لذا سأساعدك.

..-

اغتيال الشاهزاده

تعرض الشاهزاده إلى ثلاث محاولات اغتيال هذا الشهر، المشكلة هنا أننا نعرف بالضبط مَن وراء تلك المحاولات، إنها روكسلانة، لكن ماذا نفعل؟

فقد علمنا أنها تستخدم نوع من السحر الأسود للتحكم بالسلطان لينفذ رغباتها، تلك الأفعى المجرية.

"المحاولة الأولى"

ذات يوم ذهبنا لمواجهة بعض المستذئبين على أطراف قونية وقد قتلوا عددًا غير هين من الناس، تحركت أنا والشاهزاده على رأس فيلقنا السري إلى أطراف المدينة فجرًا فهو وقت خمول نسبي للمستذئبين بعد سهر ومطاردات طوال الليل وبدأنا البحث عن أوكارهم ولم يكونوا ليتركوا لنا الفرصة للقضاء عليهم لذا لجأنا إلى الحيلة، أحطنا منطقة الأوكار بدائرة من النار قطرها نصف ميل تقريبًا ثم بدأنا مرحلة كر وفر من وإلى الدائرة لنسدد الضربات بخناجرنا المصنوعة من الفضة ثم نخرج من الدائرة مسرعين فلا يستطيع المستذئب عبور الدائرة بسبب الفوبيا غير الطبيعية لديهم من النار، أشعلنا النيران بخليط يشبه النار الإغريقية والتي لا تنطفئ بالماء أو المطر والذي انهمر ذلك اليوم، بعضنا ظل خارج الدائرة يطلق عليهم سهام ذات رؤوس فضية، قضينا ذلك اليوم

على سبعة عشر مستذئبًا، وقفنا هناك نهنئ أنفسنا لم نكن نعلم بما يتربص في هذا المكان النائي لكني رأيته على أي حال، هناك رجل يتوارى خلف إحدى الأشجار بدا أنه يترصد بالشاهزاده، سدد سهمًا غادرًا نحوه لكني دفعته بعيدًا فتفاداه ومن ثَم هُرِعنا نطارد هذا اللعين كقطيع من الذئاب أنفسنا خلف فريسة ستتمنى الموت إذا أمسكنا بها، دقائق وأمسكنا بذلك اللعين والذي ألقى أسلحته على الفور ووقف مستسلمًا، لم يبد أنه صُدم عندما رآنا نطارد بعض المتحولين فيبدو أن فكرة المستذئبين لم تكن خبرًا عاجلًا.ولم يبد أنها أزعجته، خطتنا كانت بسيطة أن نجبره على الاعتراف ثم نذهب به إلى السلطان، باستخدام الأدوات المناسبة تستطيع أن تجعل أي إنسان أن يتحدث وهذا شيء تعلمته في حياتي كأيخان.

-من أرسلك خلف الشاهزاده؟

-روكسلانه.

بمجرد أن ذكر اسمها بدأت الدماء تندفع من أنفه وعينيه وأذنيه وأنحاء جسده، أخذ يصرخ لفترة ونحن نتفرج لم يكن بيدنا أي حيلة فقال الشاهزاده معلقًا:

-تعويذة الختم

-وماذا تكون؟

-تعويذة وعد تُختَم بالدم إذا خالفته تنزف حتى الموت

...-

"المحاولة الثانية"

بعد عودتنا من إحدى الحملات جاء الشاهزاده للاحتفال مع فرقتة المفضلة في المعسكر، لاحظت أن من أحضر الطعام للشاهزاده كان مرتابًا، بدا خائفًا حقًّا بعد أن وضع الطعام للشاهزاده أخذ يتوارى، كان هذا واضحًا.

أمسكت بيد الشاهزاده قبل أن تصل بالطعام لفمه وأخبرته عن شكوكي فأمسكنا بالرجل وأقر بالفعل أنه سممه مجبراً من رستم باشا، رستم باشا هذا كما نعلم جميعًا أنه زوج ابنة روكسلانه حيث مكنته من نيل منصب "الصدر الأعظم" وهو من أعلى مناصب الدولة العثمانية كي يكون داعمًا لأحد أبنائها عندما يتولى السلطنة بعد والده وبعد التخلص من الشاهزاده مصطفى بالطبع تلك اللعينة لن تتوقف حتى تنال غرضها وهو التخلص من الشاهزاده مصطفى لذا قررت عدم مفارقته..وكنت محقًّا.

في المرة الثالثة لهذا الشهر قرر الشاهزاده العودة إلى قصره في وقت متأخر جدًّا من الليل بعد قضاء سهرته معنا بالمعسكر لكنه أخبرني بأن عليه مقابلة بعض رجال الدولة في الصباح الباكر ولا بد من العو دة الليلة،لم أستطع إقناعه بالبقاء لكن حقًّا لم أكن لأتركه فأصررتُ على مصاحبته إلى قصره والتأكد من مأمنه وسط رجاله هناك، لم يكن الشاهزاده من هوات التجول بحرس خاص لذا قررت أن أقوم أنا بتلك المهمة تلك الليلة، وفي طريق العودة ظهر من

قلب الظلام خمسة رجال من الجحيم، لم يكونوا قطاع طرق لقد لاحظنا ذلك فهم منظمون وأسلحتهم حديثة وملابسهم مهندمة ولم يسعوا خلف المال أو الجياد، بدا إصرارهم على القضاء على الشاهزاده، وبالطبع ليس أثناء ورديتي، قاتلنا أنا والشاهزاده جنبًا إلى جنب فكنا فريقًا أكثر من رائع، إيقاعنا متناغم في القتال وكأننا نقرأ أفكار بعضنا البعض وبالفعل استطعنا القضاء على هؤلاء الحثالة ويبدو أنهم نالوا تدريبًا مكثفًا من أجل ذلك.لقد كانوا بارعين لكننا كنا أفضل بل الأفضل.

الشاهزاده صديقي ولم أكن لأدع أيًا من هؤلاء الأوغاد يتعرض له بسوء، لقد أقسمت على ذلك، وطالما أنا بجانبه فلن يمسه أحدًا بسوء...أبدًا

رسالة من الأستانة

ذات يوم جاءت لي رسالة من قصر- الأستانة "قصر- السلطان" والغريب أنها لم تكن بخط همايون أي خط السلطان أو الديوان الهمايوني، لم يكن عليها حتى طغراء السلطان "إذًا من يريد ماذا؟"

لكنها رسالة من القصر السلطاني فكان يجب أن ألبي الطلب وأحضر.

سافرت على الفور من قونية إلى إسطنبول متجهًا إلى قصر- الأستانة وهناك وجدت رستم باشا في انتظاري.

- أخيرًا؟ ظننا للحظة أنك لن تحضر لكن اتضح أنك أذكى من ذلك

-...

-ادخل هذه الحجرة، هناك من يريد مقابلتك

لم أتفوه بكلمة لكن بمجرد رؤية هذا الثعبان لم أستبشر- أي خير، كانت الحجرة شاسعة ذات ستائر حريرية وأثاث فاخر ولم يكن بها أحد، فجأة دخل أربعة رجال من الجلادين أحاطوا بي وحاولوا قتلي، لكني أخذت حذري وقضيت عليهم، بعد أن هدأ الوضع دخل الثعبان رستم ليتفقد الوضع ليجدني واقفًا بينما لم يفعل الآخرون، أمسكت به بعنف وأقسمت على قتله قائلًا:

-لا يهمني الإعدام فقط سأقتلك وليحترق العالم بعد ذلك.

فسمعت صوتًا نسائيًا يصدر من خلفي ليصيح بي قائلًا:
-توقف!

إنها روكسلانة، جاءت بنفسها لمتابعة الوضع فقالت لي:
-يبدو أن ما نسمعه عنك صحيح، لقد قتلت لتوك أربعة من خيرة رجالنا.

-خُرّم سلطان[3]؟

- إذًا تعرف من أنا، ولابُد أنك تعرف أيضًا أني بكلمة واحدة أستطيع تحويل أحلامك إلى حقيقة أو إلى كوابيس وهذا منوط باختيارك.

-تريدينني أن أقتل الشاهزاده.

-لن توافق لذا لن أطلب.

-جيد.

فقالت بعصبية واضحة:
-فقط انظر في الاتجاه الآخر عندما يحدث هذا وتوقف عن لعب دور ملاكه الحارس اللعين هذا.

---

(3) خُرّم سلطان: لقب يُطلق على زوجات السلاطين العثمانيين

-أنتِ تَهزِين، قد لا يكون باستطاعتي أن أبلغ السلطان أو أثبت أي شيء لكني سأظل هناك بجانب الشاهزاده.

-لا تكن غبيًا، ستحصل على منصب لم تحلم به بدلًا من كونك جنديًا لا اسم له ولا قيمة وسـ..

- وفَري هذا الهُراء، أما بالنسبة لكِ ولرستم فلتذهبا للجحيم ولا تعودا أبدًا.

اتجهتُ صوب الباب كي أرحل فقالت:
-تظن أن كونكم تتسامرون مع الأشباح وتقتلون بعض المشوهين أن لكم قيمة وأن هذا سيَحُول دون وقوع كارثة حتمية لكما...أليس كذلك؟

-...؟

-نعم، أنا أعلم بشأن ناديكم الصغير، أنت ومصطفى والفيلق السري.

-لابُد وأن كلمة مشعوذة بالنسبة لكِ أكثر من سبابة.

-لن أنكر، أنت لا تعرفني ولا تعرف ما الـذي تعلمتـه عنـدما كنـت أعيش في المجر، أنا سيئة أعترف بذلك لذا تجنبني ولا تكن غبيًا.

- أنا بالفعل لست غبيًا لـذا لـن تقنعينـي مهـما حاولـتِ، وبالنسـبة لفكرة الجحيم تلك يجب أن تفكري بها جديًا...وداعًا.

- أسير مبتعدًا فسـمعت صرختهـا الغاضـبة يرتـد صـداها في دهـاليز القصر.

"لن ينتهي هذا على خير" فكرة سيطرت على تفكيري ذلك اليوم.

رسالة أخرى

في خيمتي بالمعسكر وصلتني رسالة من الشاهزاده مصطفى، وكانت بعد الترجمة كالآتي :

صديقي *العزيز أيفان*...

لقد سافرت إلى إسطنبول بناءً على طلب السلطان، يبدو أننا على وشك الخروج في حملة.أثناء وجودي هنا سمعت عن مُنجّم قد يستطيع مساعدتك في الأمر الذي تحدثنا عنه مؤخرًا، سألتقي به قريبًا وإذا كان بالفعل كما سمعت عنه سأتباحث معه أمرك ثم أخبرك بما توصلنا له لاحقًا.

لاشيء يؤلم مثل خسارة صديق مخلص خاصة إذا كان هو كل ما لديك، لكن السبب الذي يحزنني لرحيلك هو نفس السبب الذي يدفعني لمساعدتك كان الله في عونك وأرشدك إلى الصواب

الشاه زادة

مصطفى

عودة الشاهزاده

بعد عدة أشهر قضاها الشاهزاده في إسطنبول عاد أخيراً إلى معسكرنا بقونية وأخبرني بالفعل عن رحلته في إسطنبول وعن لقائه بالمنجم "شمس الدين يلماظ" وأخبرته بدوري عن لقائي بتلك الأفعى روكسلانه.

-لا تقلق يا صديقي فهي لا تستطيع أن تفعل أكثر مما فعلته بالفعل.

-مع احترامي أيها الشاهزاده، قد تستطيع فهي تعلم بشأن الفيلق السري، كيف هذا؟

-لا أعرف لكنها مشعوذة، تستحضر ما لا يخطر ببالك فقد تستخرج منهم أي معلومات.

-أظن أنه من الخطأ أن تقضي وقتًا طويلًا معنا بالمعسكر لذا يجب أن تبتعد عنا قليلًا أما عن الفيلق فلا تقلق سأتولى أمره وحدي حتى تهدأ الأمور.

-ماذا تقول؟ لن يحدث، فهؤلاء الرجال أصدقائي أيضًا جميعكم كذلك ولن أتخلى عنكم.

- نحن نعلم ذلك جيدًا لكن أيها الشاهزاده لا نريد أن نعطي لتلك الأفعى فرصة لتوغر صدر السلطان ضدك.

-لن تستطيع إقصائي بتلك السهولة يا أيخان.

-أيها الشاهزاده أنا لم أقصد..

-أعلم، لكني لن أبتعد عن الفيلق فأنتم في حاجة لي ولتفعل هي ما تشاء، أنا لا أهتم.

تنهدت في ضيق، لقد أخذت الحلقة تضيق ويبدو أن فرصة روكسلانة في الفوز تتسع خصوصًا بعد ما حدث لاحقًا.

سُم الأفعى

أخبرني الشاهزاده بأن الجيش سيخرج في حملة على إيران وأن والده كلفه بقيادتها.

- حسنًا، أيها الشاهزاده، سأعد نفسي وأنضم للقوات كي نرحل.

-لا لن تفعل.

-ولم لا؟

- لأنك لن تأتي معنا، ستذهب بدلًا من ذلك إلى إسطنبول لأن شمس الدين يريد مقابلتك شخصيًا.

-والحملة؟

-لن تنتهي في يوم وليلة، فقط اذهب لملاقاة المنجم ثم تستطيع موافاتنا لاحقًا.

-...

أخذت أجمع أغراضي مستعدًا للرحيل ومازال الشاهزاده موجودًا بخيمتي، يعلم أني ضائق الصدر ولسبب ما أعلم أنه كذلك فقال لي:

-أيخان.

-نعم أيها الشاهزاده.

اقتَرَب مني بلطف وأعطاني خنجره هديةً ثم احتضنني قائلًا:
- يجب أن أرحل الآن مع الرجال، وداعًا يا صديقي.

-وداعًا؟

-قد تتمكن من حل اللغز مع المنجم وترحل فلا أراك ثانيًا وقد لا تتمكن من ذلك وتوافنا في حملتنا، في كلتا الحالتين أشعر أنه من الصواب أن أودعك الآن.
..-

أثناء وجودي بإسطنبول حرّضتْ روكسلانة الصدر الأعظم رستم باشا وأعوانه بنشر الإشاعات في كل مكان بأن الـ(الليكّى چرى) يحبون الشاهزاده مصطفى ويريدونه سلطانًا للبلاد خاصة بعد مرض السلطان، وعدم قدرته على الخروج للحملة بنفسه، وساعد على تأكيد تلك الشكوك وجود الشاهزاده شبه الدائم بيننا نحن الجند، لقد كان ذلك بسبب عمليات الصيد وإنقاذ الأبرياء، لكن السلطان لم يكن يعلم بأمر الوسطاء أو لديه أدنى فكرة عما يقبع في الظلام.

سمعت بعد ذلك بسفر السلطان بنفسه للحملة وبعدها سمعت بحدوث الفاجعة.

لقد قُتل الشاهزاده وبعدها بفترة قصيرة مات جهانگير متأثرًا بحادث مقتل أخيه، جلست في حضرة المنجم أكاد أشتعل غضبًا سائلًا:

-كيف حدث ذلك؟

- انضم السلطان للحملة وكما تعرف العُرف أن بمجرد وصول السلطان يجب على الشاهزاده أن يذهب إلى خيمة السلطان ليقبل يده.

-أعلم كل هذا لكن ماذا حدث؟

- يُقال أن الشاهزاده ذهب إلى خيمة السلطان لكنه لم يجده بل وجد سبعة من الجلادين يختبئون بها وخنقوه وأن السلطان هو من أعد كل هذا بسبب تلك الإشاعات.

لم أتمالك نفسي وأخذت أصيح:

-كيف للسلطان أن يفعل ذلك؟

-قد يكون هذا صحيحًا وقد لا يكون كذلك.

-وكيف نعرف؟

-سأعلمك شيئًا، هل لديك شيء يخصه؟

-خنجره، أعطاه لي هدية قبل رحيله لحملته الأخيرة.

-حسنًا قد ينفع ذلك، الوسطاء يستطيعون الشعور ببعضهم البعض على الأقل من يمتلك قوى قوية بما يكفي وأظن أنك كذلك، الآن أرسم النجمة الخماسية المعتادة في التعاويذ وضع الخنجر في المنتصف والآن ضع يدك على الخنجر وأغلق عينيك وركز كثيراً وقل"clamatis mortuis veritatem ".

- "clamatis mortuis veritatem"

فسمعت صرخة قوية كادت تُصمّني ومن ثم وجدت نفسي في مكان آخر..

وجدت نفسي بمعسكر الحملة، ويبدو أنه لا يراني أحد حيث عبر خلالي أحد الجنود وكأني شبح، دخلت الخيمة السلطانية لأجد السلطان جالسًا يتفحص بعض الرسائل فدخل عليه رستم باشا.

-فخامة السلطان.

-رستم؟ ألم آمرك بالعودة وأني من سيقود الحملة؟

-نعم ياسيدي، لكني هنا لأمر هام هلا أتيت معي يا سيدي وسأشرح كل شيء .

خرج السلطان مع رستم من الخيمة وبعد أن ابتعدا قليلًا دخل الخيمة سبعة ملثمين، يرتدون زي الجلادين ولكنهم لم يكونوا كذلك، استطعت رؤية عيونهم فهي حمراء كالدم يبدون كمجموعة من الشياطين خرجت لتوها من قلب الجحيم، هذا عمل روكسلانة بلا شك، رأيت الشاهزاده يقترب من خيمة والده كي يحييه، لم أستطع إيقافه، أخذت أصرخ وأحاول تحريك أي شيء لتحذيره، لو كنت شبحًا كان من الممكن أن يراني لكني لم أكن حتى هناك، يقترب ويقترب وأشعر بالغضب يندفع إلى رأسي يا إلهي رأسي سينفجر، دخل الشاهزاده الخيمة فلم يجد السلطان فقط هؤلاء الملاعين، حاول المقاومة قدر المستطاع، لو كانوا بشرًا لقضى عليهم وحقًا لا أعرف حتى الآن ماهية هؤلاء، قاوم وقاوم لكن سرعان ما أحاطوه وقاموا بخنقه، أخذت أصرخ وأصرخ كي يتوقفوا، ثم ظللت

واقفًا هناك لا حول لي ولا قوة أنظر له والحياة تفارق عينيه، دموعي تنهمر بغزارة وفجأة سُحبت من هناك لأجد شمس الدين قد سحب يدي من الدائرة وكنت أدمع حقًا فقال لي:
-أظن أن ذلك يكفي.

تمددت على الأرض محاولًا التقاط أنفاسي، ثم أخذت أصرخ لا أعلم غضبًا أم ألمًا أم مزيج مُر لكليهما فقال شمس الدين ملطفًا:
-لم تكن لتتمكن من فعل أي شيء، لقد كان محتمًا.
..-
ما حدث هو جزء من التاريخ، فقد حدث بالفعل بالنسبة للزمن الذي تنتمي له، أنت هنا زائر تشاهد وتعيش دون القدرة على تغيير أي شيء لأنه لا أحد يستطيع تغيير ما حدث بالفعل.

مازال هذا مؤلمًا، أنا لم أحظَ بصديق مثله حتى في زمني الحقيقي، لقد كان أخًا لي أكثر من آخر لي في زمني، كنت أفكر حقًا في البقاء هنا، لقد قررت ذلك بالفعل لقد جئت لك فقط لأني أشعر بالفضول ليس إلا، ثم حدث ما حدث.
ليس من حقك أن تتخذ قرارًا كهذا، كان من الخطأ الارتباط بأشخاص ليسوا من زمنك، أنت لست هنا لعقد الصداقات، كان يجب أن تعرف ذلك، أنت هنا في مهمة..حل اللغز والعودة إلى حيث تنتمي. ظللت ممددًا هناك على الأرض أحدق بالسقف أشعرى بأسى شديد لما رأيته، وأسفاه على الشاهزاده وأسفاه.

المسافر

استضافني شمس الدين لديه لفترة لنبحث معًا عن مفتاح السر لوجودي هنا، أخبرت شمس الدين عما أتذكره من كلمات البردية فلم يتعرف إلا على كلمة المسافر وقال لي إنه عثر على كتاب من قبل تحدث فيه الكاتب عن شخصية خيالية لرجل مُلَقب بالمسافر وأنه يستطيع السفر عبر الزمن فلا بد وأن هذا الكتاب قد يرشدنا إلى شيء، بدا ذلك منطقيًا على الأقل بالنسبة لِمَا مررت به حتى الآن.

طلب مني مساعدته في البحث عن الكتاب في مكتبتة الخاصة، لم أفهم طلبه حتى رأيت المكتبة وفهمت ما يعنيه، فهناك حجرة شاسعة أسفل منزله لم أكن لأدعوها قبوًا فهي شاسعة بالفعل بها أرفف كثيرة ويبدو أن بها مئات الآلف من الكتب.

صُعقت عندما رأيتها لقد ظننت للحظة أني سأموت من الشيخوخة قبل أن أعثر عليه لكن شمس الدين كان منظمًا فهناك ركن خاص للكتب الخيالية مما أضاق دائرة البحث، وأثناء البحث وجدت ركنًا لكتب التعاويذ والسحر فوجدت نفسي منقادًا إليه، تناولت أحد الكتب لأجده ذا عنوان لافت، لكني ألقيته من يدي بغضب ثم تناولت كتابًا آخر وأخذت أتفحّصه لأجد به تعاويذ حماية وأخرى

سوداء وطرقًا لصنع اللعنات لكن ما جذب انتباهي هي تعاويذ الأمراض والحوادث.

ارتبكت فجأة عندما ناداني شمس الدين قائلًا:
-أيخان! تعالَ يا بني لقد وجدته.

-حسنًا أنا قادم.

فقطعت بضعة صفحات والتي حازت على أنتباهي وأخفيتها بملابسي ثم أعدت الكتاب إلى مكانه، أخذت أقلب في الكتاب، كان يتحدَّث عن بطل خرافي أو أسطوري يدعى المسافر (gezgin) يستطيع السفر عبر الزمن والانتقال من مكان لآخر بسرعة رهيبة والتي نستطيع تعريفها في وقتنا الحاضر بخاصية الانتقال الآني، يحكي أيضًا أن المسافر قبض على وحش شرير جدا يُدعى سيد الظلام ولم يذكر اسمه لأنه ليس من المفترض أن نذكر اسمه ولكنه ملقب ب(الملعون سبع مرات) و..

شعرت بالملل فألقيت الكتاب لتسقط منه ورقة، التقطتُها لأجدها مصنوعة من الورق الأبيض الحديث مكتوب بها جملة واحدة بالتركية ذات الحروف اللاتينية، لكن ماذا كانت تفعل التركية اللاتينية عام ١٥٥٣م؟ فهي لم تظهر قبل قرون من الآن، فماذا كان بالورقة؟

Yckğj ıvbcoğıc yckğ vi, Ayıyi

جملة منطقيـة، لم تكـن منطقيـة عـلى الإطـلاق لقـد تعرفـت عـلى الحروف ولكن تلك الكلمات..لم تكـن حتـى كلمات..مـا هـذا بحـق الله؟

الليلة الأخيرة

انتشرت الإشاعات مرة أخرى وهذه المرة تدعي أني أخطط لتحريض (الميكى چرى) للانقلاب على السلطان فصدر الأمر بإعدامي وأخذ رجال السلطان يبحثون عني في كل مكان، مازالت أنا والمنجم حائرين في اكتشاف ما الذي تتحدث عنه تلك الورقة اللعينة.

وفجأة...
اقتحم حرس السلطان جنود الـ(قابو قولو) منزل المنجم وأمسكوا بي وزجّوا بي إلى السجن وهناك علمت بأمر تلك الإشاعات.
مكثتُ في السجن طوال الليل أحاول فك اللغز بلا فائدة لا شيء يطرق ذهني على الإطلاق، قد يكون اللغز صعبًا حقًّا أو قد أكون مشتتًا لأني سأعدَم في الصباح، وفي منتصف الليل جاءتني زيارة إلى حدٍّ ما متوقعة، هناك شخص يرتدي عباءة لا يظهر منه أي شيء يسير في دهاليز السجن ويقترب من زنزانتي.. إنها روكسلانة.

-يجب أن تعذر كوني زوجة السلطان لا أريد لفت الانتباه.

-لا شيء لافت على الإطلاق عند رؤية عباءة تسير بين دهاليز السجن.

-لم تستمع لنصيحتي وإليك ما حدث.

-التشفّي من شيم العظماء.

-لا تسخر مني أيها السجين وإلا.

-ماذا؟ ستقتلينني؟

-أتعلم؟ إنما يطرب قلبي لرؤيتك ملقى بالسجن هكذا ولسوف أقيم احتفالًا غدًا بعد إعدامك وسأسعد كثيراً عند رؤية ذلك.هل تعلم أننا سنقطع رأسك؟

-.....

-نعم، توصية خاصة من أجلك فقط أحضرنا مثقلة ولسوف نعدمك أمام الأشهاد وسأزيّن باب القصر برأسك، هذا جزاء من يتحداني وجزاء من يقتل الشاهزاده، لما فعلت ذلك؟ لقد كان صديقك.

كاد رأسي ينفجر فصرخت بها صائحًا:
-أيتها اللعينة، ستدفعين ثمن ذلك

ضحكت ساخرة وهمت بالرحيل فناديتها:
-روكسلانة

نظرت لي في غضب واقتربت مني متوعدة:
-كيف لك أيها الحقير أن تدعوني هكذا دون ألقاب؟

-هذا بالضبط ما أردتك أن تفعليه، أن تقتربي.

فأخرجت من جيبي مسحوق يشبه التراب فنفخته في وجهها فانتفضت مبتعدة للخلف في هلع، أخذت تعطس وتسعل وهي تتساءل في جزع:
-ما. ما الذي فعلته بي؟

-عجيب، مشعوذة ولا تعرف ما الذي فعلته للتو؟

....-

-كان من الممكن أن أجعلك تهلكين على الفور ولكني سأكون رحيمًا حينها وأنا لا أريد أن أكون كذلك.ليس مع أمثالك

-ما الذي فعلته؟

-ستعرفين وأستطيع أن أخبرك أنكِ ستتألمين كثيراً وستصرخين كثيراً ثم ستهلكين بعد أن تتمني ذلك.

ابتعدت جزعة وهُرِعت راكضة خارج السجن وشعرتُ حينها بالرضا نوعًا ما أنها عاجلًا أم آجلًا ستدفع ثمن ما فعلته بصديقي ولن تتمكن من إنقاذ نفسها لقد تأكدت من عدم حدوث ذلك.

روكسلانة تفوز

كان يجب أن أتمكن من حل اللغز قبل ميعاد الإعدام، لكن كيف؟

سهرت طوال الليل محاولًا،لم أنم على الإطلاق لكن دون جدوى، حضر الحرس في الصباح الباكر وجروني جرًا نحو منصة الإعدام..يا إلهي ليس هناك وقت!

طرأ فجأة إلى ذهني محاضرة تعليم فك الشفرات بأكاديمية الوسطاء في حياتي كسامي، حيث درست هناك عدة طرق لعمل وفك الشفرات ولكن هذه أيهم؟ حفرت العبارة بذهني وأخذت أفكر بشكل مكثف، أيهم تلك الشفرة؟ أقتربُ أكثر وأكثر من المنصة وأنا أراجع بشكل سريع جدًّا طرق التشفير التي درستها، دخلنا ساحة الإعدام أمام قصر الأستانة والشهود تقف منددة بخيانتي ومحاولة انقلابي وقتلي للشاهزاده، وهناك بجانب السلطان في شرفة القصر تقف روكسلانة تبتسم بتشفي وخبث ولكنها بدأت تسعل بشدة ويبدو أن بعض الدماء خرجت من فمها لكنها تماسكت ولم تدع أي شيء يعطلها عن الاستمتاع بتلك اللحظة.
لقد نجحت خطتها ...

وقف المنادي يخبر الناس كم أنا شخص سيئ وكم أستحق هذا المصير، أخذت أقلب نظري وسط الحشود فوجدت فيلقي السري يقف بينهم، أشار عزيز برأسه بمعنى هل نتدخل الآن؟

maktabbah.blogspot.com

فهززت رأسي نافيا فوقف مكانه منكسا رأسه حزنًا هو ورجاله، لم أرد أن يلقوا مصيري، أردتهم أن يكملوا حيث وقفت أنا والشاهزاده فالناس في حاجة لهم ولن يفيدوهم وهم أموات، أنا مجرد زائر لا أنتمي هنا،

maktabbah.blogspot.com

وضعوا رأسي على المثقلة وأعطى السلطان الأمر بالتنفيذ، سكين المثقلة يهوي مقتربًا من رقبتي ومعه نهايتي لكنه أصبح يقترب ببطء فعقلي أصبح يعمل بسرعة تفوق الحاسوب وطرقت إلى ذهني فجأة "شفرة قيص" Caesar cipher

maktabbah.blogspot.com

وحلها كالآتي، تستبدل بالحرف الموجود أمامك في الجملة الحرف الثالث الذي يليه في الأبجدية فمثلًا :

c⟶z b⟶y a⟶v

وهكذا، هلا ساعدتني يا عقلي على حلها؟

الأبجدية التركية اللاتينية كالآتي:

A B C Ç D E F G Ğ H I İ J K L M N O Ö P R S Ş T U Ü V Y Z

جملتنا هي:

yckğj ıvbcoğıc yckğ vi, Ayıyi

أول حرف من جملتنا هو y لنستبدل به الحرف الثالث بعد وهو b الحرف الثاني في جملتنا c والحرف الثالث بعده e وهكذا...
هلا حاولت إيجاد الجملة؟ أرجوك ساعدني يا عقلي، تُرى ما هي الجملة؟ وراءِ الفصل بين الكلمات إذا كانت الجملة:
Benim kadarime beni al, çakal

إذًا قمت بعمل رائع فهذه هي الجملة الصحيحة إنها هي الجملة المنشودة ومعناها (خذني إلى قدري أيها الذئب)، فقلت بصوت مرتفع والسكين يكاد يلامس رقبتي:
Benim kadarime beni al, çakal!

وأغمضت عيني فلم أشعر بشيء.
لقد أنقذتني، إذا لم تكن قد وجدت الجملة هكذا فلقد أعدمت وأرجوك لا تواصل القراءة. اذهب للنوم أو شيء كهذا ولنرَ كيف يتحمل ضميرك هذا، وأرجوك ألا ترى دماءَ كلما نظرت إلى يديك
أنهار حمراء
نجوم تهوي
العالم يدور
إن لم يكن هذا ظلامًا
إذًا..أين النور؟..

قبل ثلاثمائة عام من الوقت الحاضر

(جزيرة روناك)

طبول طبول، تعلو وتنخفض، أشخاص شبه عراة يتراقصون حول النار، أقنعة تتراقص وتتراقص أسرع فأسرع، أعنف فأعنف، صاح أحدهم " الخطر قادم"، تعالت الطبول أكثر فأكثر، مازالوا يرقصون حول الضوء الأصفر، وجوه مطلية، أجساد مغطاة بالتراب والطين الجاف، هناك طقوس يجب أن تُنفذ قبل.. قبل فوات الأوان.

أحضرت النساء الزهور الأرجوانية، إنها في كل مكان، يلقونها في النيران على مراحل ويرددون شيئًا ما غير مفهوم.

يجب أن ننتهي بأسرع ما يمكن.. هناك المزيد.. بل أكثر من المزيد.. ما العمل الآن؟

صاح زعيم القبيلة قائلًا:

- إنه الغضب، فات الأوان، لم يعد هناك ما يُفعَل، لن نستطيع الهرب، ليس بعد الآن..

بدأ يرتجف للحظات ثم تحولت عيناه للون الأرجواني، توقف الراقصون عن الرقص والطبالون عن الطبل، الشر نال من الزعيم، الشر قادم، أين النجاة؟

تعالت الصيحات وسط هلع الجميع، بـدأت عمليـة الهـرب "الكـل ينجو بنفسه" هكذا صـاح الكثـيرون، يجـري أحـدهم ثـم يتوقـف فجأة فتتحول عيناه للأرجواني فيعود ليهدم خيمته وخـيم الآخـرين ثم يتجه بهدوء نحو الغابة القبيلة كلهـا تتجـه نحـو الغابـة، المكـان خالٍ، خالٍ تمامًا، هُدمت الخيام، انطفأت النيران..

منذ لحظة كـان المكـان يعـجّ بالحركـة والحيـاة لكـن الآن... ذهـب الجميع إلى حيث لا رجعة، هناك غنـاء، صـوت أنثـى تغنـي بلهجـة غير مفهومة، لكنه غناء هـادئ ينتشر- بنعومـة مـع الـريح كـالهواء البارد يقشعر له البدن دون حتى أن يفهمه، هناك مـن يـرضى عـما حدث بل ويغني محتفيًا وآخر كلمة نطقت بها شفاه أي من هؤلاء الضحايا (باثين)

جزيرة روناك عام ١٥٨٧

فتحت عيني على لكمة تُسدد إلى أنفي لتطرحني أرضًا وتنفجر من أنفي الدماء، هناك من لا يحبني.هم في كل مكان ظللت ممددًا مكاني أحاول استيعاب ما يحدث والحشد يهلل مشجعًا، لكن ليس لي.

-نعم، أعطه ما يستحقه يا (إيلاي)
-انظر كم هو مثير للشفقة!
- ياله من أحمق. اقتُله أرجوك يا (إيلاي)

حسنًا، من هو إيلاي ومن هؤلاء الأشخاص بل ومن أنا..من جديد؟

جاء رجل يبدو في أوائل الخمسينيات ليوقفهم ويساعدني على النهوض ثم صاح بهم جميعًا كي يبتعدوا عني قائلًا:
-إذا لم يتوقف هذا الهراء في الحال سأضطر للتدخل وقد نندم جميعًا، ابتعدوا الآن وليذهب كل منكم لمباشرة عمله. إذا كان لديه عمل وليترك أعمال العصابات تلك وشأنها، أتفهمون؟

فقال ذلك المدعو إيلاي:
-حسنًا يا سيد (وايت) سأنفذ كل ما تأمر به.

ثم مر بجانبي هامسًا لي:
- هذا لم ينته بعد أيها المعاق، سنستأنف ذلك لاحقًا.

وتعمد صدم كتفه بكتفي وتابع السير مبتعدًا.

نظرت حولي لأجد كبائن خشبية كبيرة حيث يعيش هؤلاء القوم،

"هل أصبحت من الغجر الآن؟ أين أنا بحق الله؟"

اصطحبني السيد (وايت) هذا إلى كابينته وشرع بتضميد أنفي، وهناك جلست أستوعب ما حدث للتو محاولًا تذكر أي شيء كأين أنا على سبيل المثال!

نحن نتحدث الإنجليزية، ثياب معظمنا رثة ما عدا أنا والسيد (وايت) على ما يبدو، عددنا ليس بكثير، يبدو أننا معسكر ما، ملابسنا عتيقة الطراز جدًا وكأننا في عصر من العصور الوسطى أو ما يقربه حدثني السيد (وايت) برفق قائلًا:

-تصرف هؤلاء الأوغاد غير مقبول ولكنه متوقع إلى حدٍّ ما خاصة بعد ما حدث منذ أسبوعين..لكن لا تدع هذا يحبطك يا (فيليب) فهذا ثمن تدفعه عندما تكون مختلفًا

...-

لم أعلق، لم أكن أعلم حتى ما الذي يتحدث عنه هذا الرجل وهنا بدأت الذاكرة تعمل وتندفع ذكريات لم أعشها من قبل إلى رأسي كي أتعرف إلى نفسي..

مازالت أذكُر (سامي ريان) و(أيخان دنيز) لكنـي الآن لسـت أيهـما أنا.أنا..

(فيليب ماسترز) شاب في أواخر العشرـينيات أتيـت وهـؤلاء القـوم لإنشاء ثاني المستعمرات الإنجليزية على تلك الأرض الجديـدة التـي يدعونها (أمريكا الشمالية) أتينا منذ بضعة أشهر والوضع هنا لـيس منضبطًا، فالفوضى تعم المكان لذا قرر السيد (جـون وايـت) - هـذا الرجل الثري ومؤسـس تلـك المسـتعمرة - الاسـتعانة بالسـير (والـتر رالي) ممول المستعمرة كي يرسـل بعـض الرجـال لضـبط الأمـن هنـا حيث أرسل له خطابًا منذ أكثر من شهر ولم يسمع منه حتى الآن.

أتذكر أننا مهددون هنا فقد يهجم علينا الإسبان في أي وقت إذا علموا بوجودنا هنا وذلك نتيجة للحرب الدائرة بيننا (الإنجليز) وبينهم الآن، وحاميتنا على ما يبدو مكونة من بضعة رجال لا يَكفُون لحمايتنا من بعض اللصوص.

هذا ما استطعت تذكُّره في تلك اللحظات القصـيرة، لكنـي لم أتـذكر بعد لِمَ يكرهني هؤلاء القوم هكذا؟
قال السيد وايت مستطردًا

-اذهب لنيل قسط من الراحة الآن، لا عمل لك اليوم فقط اذهب لتستريح.

-أذهب؟ إلى أين؟

-ماذا بك؟ هل صدمت رأسك بقوة؟

-على ما يبدو فأنا لا أتذكر أي شيء.

-كفى مزاحًا.

-أنا لا أمزح.

-....

ضغطت على نفسي لأتذكر، لم يفلح ذلك.

-حسنًا سأنصرف الآن لكن أين كانت كابينتي؟

-..؟!!

كان يوجد إناء به بعض الماء على منضدة خشبية فغرفت منه بكفي لأغسل وجهي ونظرت في المرآة لأجد نفسي وسيطًا.

خرجت من كابينة السيد (وايت) لأتفاجأ بمجموعة من الأطفال يلتفون حولي مبتسمين، فقال أحدهم:

-لقد ضربك ضربًا مبرحًا اليوم.

-هذا ما أفكر بفعله بكم الآن.

-هل تريد اللعب معنا؟

-دعوني أهدر المزيد من الوقت مع مجموعة من المتشردين ذوي عقول صغيرة وبدائية مثلكم.

-لم أنت لئيم دائمًا هكذا؟

ابتعدت عنهم، حقًّا لا أفهم لم أنا كذلك؟ يبدو أن هذا جزء من شخصية (فيليب)، لا بد وأن هناك المزيد لأكتشفه أيضًا.

جيران جدد

في المساء نهضت على حركة غريبة في المعسكر، نظرت خلسة من كابينتي لأجد مجموعة من الناس..شبه عراة. رجال يتميزون بشعر طويل يتسللون إلى المعسكر يحملون مشاعل في أيديهم متجهين نحو كابينة السيد (وايت) من ثم ألقوا بعض تلك المشاعل أسفل وفوق كابينته وألقوا البعض داخلها هؤلاء الملاعين أرادوا إحراق الرجل حيًا، هناك من لا يرحب بوجودنا هنا..

حملت بلطة متجهًا نحوهم مطاردًا إياهم فأسرعوا بالهرب. اقتحمت الكابينة المشتعلة لأخرج ذلك الغني من الحريق وبالفعل استطعت إنقاذ حياته. أخيرًا استيقظ الجميع بعد أن أوشك الحفل على الانتهاء، قمنا بإخماد النيران بسرعة..

قال لي السيد (وايت) :

-يا لها من طريقة مريعة قد يرحل بها الشخص

-لم لا نستطيع العيش بسلام في تلك الخرابة؟

-من هؤلاء المهرّجون على أي حال؟

-أبناء قبيلة (سكوتان)، ومَن غيرهم يرغب بشدة في رحيلنا؟

يبدو أن تلك القبيلة التي تعيش بالقرب من المستعمرة وهي إحدى قبائل الهنود الحمر التي تعيش بالمنطقة

قبل ثمانمائة عام من الوقت الحالي

(جزيرة كرواتون)

رجل شبه عار يرتدي قناعًا وجسده مغطًى بالرسوم البيضاء والتي قد تعني شيئًا ما، يخطب في قومه حول النار قائلًا:

-يا أبناء (سكوتان) حان الوقت، منذ عشرة غروب شمس اختفى أبناء عمومتكم في روناك، لقد حصلت عليهم اللعينة (باثين)، حان الوقت كي نتصرف، لكن علينا حينها الرحيل من هنا لأنها ستسعى للانتقام..

يجذبها الفسق والقسم الكاذب والدم لكن مؤخرًا أصبحت متعطشة للدماء أكثر من أي شيء، تشتهي اللحم البشري، تشتهيه وتستسيغه، تقتل الآن بلا رحمة وبلا سبب فقط لأنها تريد ذلك تعالت الطبول والهتافات، خرجت تلك المرأة العجوز تحمل قِدرًا يخرج منها دخان أحمر فقال الزعيم مستطردًا:

-لا يسعنا إلا حبسها على تلك الجزيرة كيلا تخرج وتؤذي المزيد ممن حولنا.

ذهبوا إلى أحد الكهوف المظلمة وسط الغابة، تنبت أمامه الكثير من الورود الأرجوانية، أحاطوا الكهف بذلك السائل اللزج وتركوا القِدْر أمام الكهف به بعض من السائل، ثم أسرعوا إلى القوارب

البدائية من صنعهم متجهين نحو الجزيرة المجاورة، صوت شهيق عميق يصدر من داخل الكهف، هناك من يستمتع بالرائحة الصادرة من ذلك القِدْر.

صوت تنهيدات يقترب من باب الكهف، امتدت يدٌ بيضاء كالشبح يتدلى فوقها قطعة قماش لثوب أرجواني تمسك بالقِدْر وتسحبه للداخل، صوت تجرع ومن ثَم صراخ وصيحات، صرخات مدوية.

في منتصف النهار حضر إيلاي إلى المعسكر وكلباه الوفيان (لوثر) و(كلود)، يبدو أنهم جاؤوا راكضين من مكان ما، فما أن دخلو المعسكر شرعوا بالضحك، فقال إيلاي:

-هؤلاء الأغبياء البدائيون، لقد نالوا ما يستحقونه.

يبدو أنهم عادوا ليتحرشوا بالقبائل القريبة منا ويبدو أني أعرف ذلك.لا لوم أنهم لا يرغبون بوجودنا هنا، اقتربت منهم قائلًا لإيلاي:

-لا تنفك أن تلقي بؤسك على الآخرين، كما عهدتك دائمًا.

فقال (لوثر):

-توقف أيها المسخ، أنت آخر من يريد تعنيفنا.

-لوثر! مازالت أحمق وتفتخر! كم هذا لطيف!

أمسك (إيلاي) بملابسي في غيظ قائلًا:

-ستدفع ثمن ما حدث لوالدي في أي وقت قريب.سأحرص على ذلك أيها المسخ الجبان.

-مسخ؟ ربما، لكن جبان؟ ليس واردًا.

مما أتذكر أن الجميع يعرفون أني وسيط مما يجعلني مسخًا في نظر الكثيرين ولكن ما علاقة ذلك بوالد هذا المتخلف؟ لم أتذكر هذا بعدُ، على الرغم أني لم أقابله بعد على ما يبدو.

اقترب السيد (وايت) مرة أخرى لتهدئة الوضع ثم قال لي:
-ابتعد عنهم أيها الفتى ولا تستفزّهم.

-خطئي؟ هل هذا ما تقوله؟

-ما أقوله هو أنك تحملني عبء الدفاع عنك أكثر من اللازم.

-أنا لم أطلب ذلك.

تنهد كي يهدأ ثم قال معتذرًا:
-أعتذر عن تلك النبرة الحادة فهناك الكثير يجري في ذهني الآن لذا أنا حاد الطبع قليلًا.

-لن أتظاهر حتى أني أهتم.

- أنت لا تهتم، أنا والجميع نعلم ذلك، لم تهتم يومًا إلا بنفسك.

-هل تحاول إهانتي؟

- ما أقوله هو أني اهتممت بك منذ صغرك وأعتبرك ابنًا لي ولم أفرق بينك وبين ابنتي (أليانور).

-إذا كنت ستتبجح بذلك!

-لا أتبجح، أريد فقط تذكيرك أني في صفك على الرغم من عدم موافقتي للكثير من قراراتك ولكن ما فعلته مع والد إيلاي كان شجاعًا فهذا الجشع ظن أنه سينجو بفعلته لكنك وقفت له حتى نال ما استحقه.

تذكرت حينها ما حدث، فوالد إيلاي هذا رجل مُرابٍ ومُؤذٍ جدًا، حدث خلاف بينه وبين رجل مسكين مديون له، فقتله وظن أنه نجا بفعلته لاتهامه أبناء قبيلة (سكوتان) بذلك، ولكني لكوني وسيطًا استطعت التحدث إلى شبح الرجل والذي أكد أن ذلك الحقير هو من فعل ذلك، الآن تذكرت لما يدعونني بالمسخ، وكره إيلاي لي، على الرغم من أن هذا لا يجعلني مميزًا فإيلاي يستيقظ في الصباح ليكره كل شيء حتى يذهب إلى النوم.فقلت للسيد (وايت) ساخرًا.

-هذا الجشع الثمين..بدا أخف وزنًا عندما قطعنا رأسه القبيح.

-...!

-ماذا فعل بموضوع المُؤَن؟

-على ما يبدو أني يجب أن أسافر بنفسي إلى إنجلترا كي أحصل على الدعم اللازم لـ لمحماية وإحضار المُؤَن لكن كما تعلم أن ابنتي

(إليانور) ستضع مولودها قريبًا لذا يجب أن أبقى معها ومن ثم سأذهب إلى إنجلترا.

-حفيدك سيكون أول مولود في تلك الخرابة، سيشكرك عندما يَكبَر بالتأكيد.

في تلك الأثناء

تسلل أطفال المستعمرة العشرة إلى إحدى مراكب التجديف للسيد (وايت) متجهين بها نحو الجزيرة المجاورة والتي تدعى (كرواتون).

نزل الأطفال إلى الجزيرة يتجولون، البعض منهم قراصنة والآخرون محاربون، يَجْرُون ويتبارزون بعِصِيٍّ وسيوف خشبية، وسط الغابة عثروا على ذلك الكهف الغريب ينمو خارجه مجموعة من الأزهار الأرجوانية، اقتربت إحدى الأطفال لتشم رائحتها ثم بدأت تسعل بشدة معلقة.

-رائحتها كالبول.إنها مقرفة.

شرع الأطفال ضحكًا ومن ثَم سمعوا غناءً يصدر من داخل الكهف فتتحول أعينهم للون الأرجواني متجهين إلى داخل الكهف..

على الصعيد الآخر اكتشف الأهالي اختفاء الأطفال لكنهم في نفس الوقت يخشون الخروج من المعسكر كيلا يتصيّدهم أحد أبناء (سكوتان) أو أحدٌ آخر يعارض فكرة استقرارهم في تلك المنطقة.

اكتشف السيد (وايت) اختفاء أحد قواربه فعلم على الفور أن الأطفال قد يكونون اتجهوا نحو الجزيرة المجاورة فطلب من (فيليب) الذهاب للبحث عنهم، على الرغم من تذمّره وافق بصعوبة واتجه على متن قارب آخر إلى جزيرة (كرواتون).

القبيلة الودودة

يدعون أهل المستعمرة قبيلة (كرواتون) -والتي تحمل الجزيرة اسمها- بالقبيلة الودودة لأنها كالجار الودود، يضحك دائمًا بوجهك ولا يتعرض لك بالأذى، قد يكون ذلك لأن إيلاي وكَلْبَيه لم يتعرضوا لهم بعد.

وجدت القارب على شاطئ الجزيرة فاتجهت فورًا نحو موقع القبيلة وأنا أتمتم "حفنة من الجبناء يخشون مبارحة مقاعدهم لأتورط أنا بمشكلاتهم وكأني أهتم إذا عاد هؤلاء المزعجون أم لا".

رحب بي أهل القبيلة، ليس لأنهم يعشقون أهل المستعمرة بل لأني وسيط وبطريقة ما يستطيعون معرفة ذلك على الرغم من أني أنا الوسيط الوحيد في تلك المنطقة.

قال لي رئيسهم بإنجليزية مدمرة:
-نحن نرحب بالمختارين في أي وقت
-هممممممم
-يشرفنا أن تنضم لنا لتناول الطعام.

فقلت بقرف:
-لا أظن أني سأجد شهية لتناول عصيدة القرف تلك.أنا أبحث عن مجموعة أطفال.

-متعجرف وسليط اللسان لكن لابد وأنـه تـم اختيـارك لسـبب.على أي حال الأطفال ليسوا هنا، أذهب وابحث عنهم ثم أرحل بهم عن تلك الجزيرة.

-لاداعي للعدائية وطردنا هكذا.

-ليس هذا المقصود أيها القرد الأبيض.

-...!

-هنا الشر كامن يتحين الفرص لاصطياد ضحايا.

-بالتأكيد.

اهزأ بكلامي كما شئت، لكن يومًا ما ستتعلم الحقيقة ولكـن في شر يوم، يوم الألم، يوم الصراخ والغضب، يوم يؤكل لحم البشـــر..أحياء يبـدو هـذا مقرفًـا والآن بمـا أن لـيس لـديكم أي فكـرة عـن مكـان الأطفال سأرحل للبحث عنهما، بينما أبتعد أخذ زعيم القبيلة يصيح بي بصوت عال:
-ابتعد أيها المتعجرف الوقح لكن تذكر (باثين) لن ترحم إذا ملكت.

أسرعت مبتعدًا أتمتم:" لقد أهنت شر إهانة، هذا مـا تأخـذه عنـدما تفعل خيراً، لذا أنا لا أفعله أبدًا.كل هذا من أجل حفنة من البؤساء الصغار"، حل الليل وأنا أسير في الغابة باحثًا عنهم وصرت أنادي:

- أيها الأطفال! هيا أيها الملاعين القصار، حان وقت العودة إلى المنزل يا أطفال!

وسط الغابة تحت ضوء القمر وجدتهم يقفون في حلقة متسمرين يحدقون في الأرض بصمت لا ينطقون ببنت شفاه.

اقتربت بحرص قائلًا بحذر:
-ها أنتم! ذويكم الجبناء يبحثون عنكم يا كتلةً من التعاسة، هيا أيها القصار لنرحل.

التفتت لي إحدى الأطفال قائلة مبتسمة في براءة تخفي الكثير من الخبث.
-هيا يا (فيل) أعدنا إلى حيث ننتمي، حان وقت دفع الضريبة

-..؟!!

رغبة ملحة

في الصباح التالي تجمع الأطفال كعصابة من قصار القوم متجهين نحوي، فقال (بن) ابن الحادية عشرة وأكبرهم:
-(فيل)! هلا علمتنا الحروف؟

-يا له من قصير ساخر!

-أنا لا أمزح.

ألم تطاردكم مدام (إليانور) في أنحاء الجزيرة من قبل كي تعلمكم وقد رفضتم الفكرة تمامًا، فقالت (إليزابيث) ثاني أكبرهم:
-نعم، لكن الوضع قد تغير الآن.

-كيف؟ هل نما لكم عقل.

.....-

-اسمعوا أيها الأقزام، ليس لدي وقت لتفاهات كهذه، اذهبوا وأزعجوا شخصًا آخر.

مستعمرة كهذه تتكون من ١١٥ فردًا لا يجيد أيهم القراءة أو الكتابة غيري أنا والسيد (وايت) و(إليانور)، اتجه الأطفال على الفور إلى السيدة (إليانور) كي تعلمهم فقال أحدهم لها:

-سيدة (إليانور) نحن نعتذر عن سلوكنا المخزي، هلا علمتنا الحروف؟

-تريدون تعلم القراءة؟!

-أيًا كان. هلا علمتنا؟

-.....؟

على الرغم من تعبها وإرهاقها لأنها على وشك الإنجاب ولكن تلك الرقيقة لم تتعلم يومًا أن تخذل أحدًا خاصة لو كانوا مجموعة من قصار القامة يدعون البراءة ولديهم رغبة غريبة للتعلم.

شرعت على الفور في تعليمهم، كوني وسيطًا أستطعت استشعار وجود شيء غير مريح في هؤلاء الأطفال، لكن هذا ليس بجديد علي، فأنا أكره كل الناس، لكن سريعًا ما سيتضح للآخرين أيضًا ما استطعت استشعاره.

A..B..C

خرجت من مكان عملي بصفتي حدادًا لدى السيد (ستون) لأشاهد الأطفال يشكلون دائرة، يغنون ويدورون مرددين

We learnt A

Oh how joy

It will make your life sour

We just need 5 letters more

فقلت معلقًا:

-أطفال غرباء..

اتجه الأطفال نحو الحصن الخاص بحماية المستعمرة، تجمعوا أمام أحد أعمدته لعدة دقائق ثم ابتعدوا يلهون، اقتربت لأرى ماذا فعلوا لأجدهم قد حفروا شيئًا ما على العمود a a

يبدو أنهم تركوا الحرفين متباعدين كأن هناك فراغًا لإضافة حروف أخرى.

-أطفال غرباء حقًا..

في اليوم التالي تعلم الأطفال حرفًا جديدًا لكنهم لم يُبْدُوا أي سعادة أو حماس كالأمس، علق السيد (ستون) الحداد عندما رآني أحدق بهم وهم جالسون على الأرض يبدو عليهم الإحباط قائلًا:

-لا أعلم ما دهى هؤلاء الأطفال اليوم؟

- مازالت أظن أنه كان علينا تركهم على تلك الجزيرة عندما أتيحت لنا الفرصة.

-أنت حقًا قاسٍ ولا تُظهِر أي رد فعل يدل على وجود أي مشاعر لديك.

-أعلم.

-.....؟!

اليوم التالي تعلموا حرفًا جديدًا وبدؤوا يتغنّون به لسببٍ ما...

We learnt C

Oh how joy

Merrily, merrily you will see

How cruel your life can be

يغنون ويدورون في حلقة متشابكي الأيدي من ثَم اتجهوا إلى عمود الحصن وأضافوا حرفًا جديدًا Caa

هناك شيء مخيف عن هؤلاء الأقزام، لم أكن متأكدًا من رغبتي في معرفته فقط اكتفيت بمراقبتهم عن بُعد.

بعد فترة قصيرة تعلموا معظم الحروف لكن يبدو أنهم لم يتعلموا ما يكفي، أنجبت (إليانور) ابنتها فلم تستطع استكمال ما بدأته مع الأطفال مما جعلهم في غاية العصبية، غاضبينَ طوال الوقت.

تحققت مما كتبوه حتى الآن هوC oa oa

لم أفهم وتساءلت في نفسي "ما الذي يحاولون كتابته هؤلاء الأميون؟"

كاد السيد (وايت) يطير من السعادة عند رؤية الصغيرة قائلًا لي:

-انظر كم هي جميلة! ذلك الملاك الصغير.

-لكنه ملاك مزعج، يصدر الكثير من الأصوات ولن يهنأ أحدٌ في نومه في الجوار.

- أنت بالفعل عديم الإحساس، تكاد لا تكون بشريًا.

-أشكرك، أنا أفعل ما بوسعي.

-.....!

لم لا تسمونها (فرجينيا)، يبدو اسمًا ملائمًا، لطالما أحببته فهو يذكرني بـ.لا عليك.
بعد أن قد تعافت (إليا نور) جزئيًا كادت المُؤَن تنفذ كما أننا نتعرض من وقت لآخر لهجمات اللصوص أو أبناء قبيلة (سكوتان) لذا كان يجب أن يتصرف السيد (وايت) بعد أن أرسل الكثير من الخطابات للسيد (رالي) ممول المستعمرة ولم يتلقَّ أي رد فكان يجب أن يسافر بنفسه، وقبل رحيله قال لي:

-(فيل)، يجب أن أرحل في أقرب وقت ممكن وإلا ستحدث فاجعة هنا، يجب أن أعثر على السيد(رالي)، أريدك أن تعتني بابنتي و(فرجنيا) من أجلي.

-لا مشكلة، فقط اعثر على ذلك المتعجرف وأنقذ المعسكر.

الحافة

مر عام على رحيل السيد(وايت) إلى لندن ثم مر عام آخر، لم نسمع منه شيئًا، فقط وصلني خطاب منذ بعض الوقت يخبرني فيه أنه طلب العون من السيد (رالي) بل ومن الملك شخصيًا لكن الحرب مع الإسبان وقلة رأس المال قد تؤدي إلى طول إقامته هناك كما طلب مني الاعتناء بابنته وحفيدته.

في ذلك الوقت توقَّفت عن كوني حدادًا واشتركت في حامية المستعمرة وتعاقدت مع مجموعة من التجار لإرسال المُؤَن لنا حتى عودة السيد (وايت).

اعتنيت في ذلك الوقت بأحوال المستعمرة ولسبب ما أصبحت شخصًا مسؤولًا ذا كلمة مسموعة لدى أهل المستعمرة.

لم تجد (إليانور) الوقت لإنهاء ما بدأته مع الأطفال فقط تفرغت للاهتمام بطفلتها التي أ وشكت على عامها الثالث، لم أفهم حتى ذلك الوقت ما الذي يحاولون كتابته على عمود الحصن ذاك.

ذات ليلة، أمسى الأطفال يلعبون ويمرحون حتى حل الظلام، يغنون وينشدون كأنهم يحتفلون بشيء ما.

وبصفة حامية المستعمرة نطلب دائمًا من الجميع الاحتماء بكبائنهم وعدم الخروج منها ليلًا حفظًا على سلامتهم.

لم يستمع لنا الأطفال ولا لذويهم، ظلوا بالخارج يمرحون ويلعبون يدورون وينشدون، بدأت أشعر حينها أنهم ممسوسون أو شيء من هذا القبيل ومن ثَم ركضوا نحو عمود الحصن لبضعة دقائق ثم عادوا ليلهوا في الشوارع.

ذهبت لأتفقد ما كتبوه حتى الآن لأجده كالآتي Croatoan

أخذت أتساءل في دهشه: "يطوقون لتعلم الكتابة ثم يكتبون هذا؟ اسم الجزيرة المجاورة وليس بطريقة صحيحة؟"

أقف عند سور الحصن للحراسة لكن لم أستطع مقاومة مراقبة هؤلاء الأقزام يغنون وينشدون شيئًا لم أفهمه

"Lare aar dar mare taro hare lar lar"

قلت لنفسي"هناك شيء أكثر من غريب يحدث هنا، ما معنى هذا على أي حال؟"

في تلك الأثناء

وقفتْ والمكر بعينيها حافية القدمين على شاطئ جزيرتها تتأمل البحر، تنظر في ثبات وكأنها ترى أبعد مما تدركه العينان، تداعب الرياحُ أطرافَ ثوبها الأرجواني كشعرها وعينيها وشفتيها وأظافرها، تحمل وردة أرجوانية في يدها..

قالت بصوت مزدوج كصوت امرأة وصوت أجشّ في نفس الوقت "يبدو أن الوقت قد حان كي يلقى غير المُرحَّب بهم جزاءهم"

وضعت قدمها اليسرى فوق صفحة الماء ثم تبعتها اليمنى، تسير برشاقة وهدوء فوق الماء والبحر ساكن تحت قدميها تتجه نحو (روناك)..

لديها موعد لن تفوته.

هناك شيء سيئ سيحدث.

قريبًا.

منذ انضمامي إلى الحامية ويومي مملوء لآخره، لكنـي لاحظـتُ أن هذا المعاق (إيلاي) أصبح يخرج من المعسكر كثيراً مـع زبانِيتـه، يعودون آخر النهـار مـرهقين وملابسـهم ملطخـة بالـدماء؛ اقتربـت منهم متوعدًا.

-ما الذي تفعلونه بالضبط أيها الممتشردون؟

رد (إيلاي):
-وما همك أنت؟

-بالكاد أدبر أمورنا هنا لا نريد المزيد من المصائب؟

-ولم قد نسمع لمسخ مثلك؟

وضعت يدي على جيبي قائلًا:
-لأني أمتلك سكينًا كبيراً وحادًا
-حزر ما الذي أمتلكه أنا أيضًا
-أنفًا كبيراً ورأسًا فارغًا؟

قرب وجهه كثيراً من وجهي حتى استطعت أن أشم أنفاسه الكريهة وقال مهددًا:
-يومك اقترب يا (فيليب) من الأفضل لك أن تحترس.

-كم هو لطف منك أن تحذرني أولًا!

ألقني بنظرة احتقار ثم ارحل مبتعدًا Kكنت أعلم أننا سنقع في مشكلة ضخمة فضلًا لهؤلاء السفهاء لكني لم أتوقع أن تصل إلى حد المصيبة.

تلك الليلة أغار علينا مجموعة من أبناء (سكوتان) لكني تصديت لهم وحاميتي لكنهم أستطاعوا حرق بعض الكبائن وإصابة بعض الأشخاص مما أثار أهل المستعمرة ليخرجوا ويُغيروا عليهم بدورهم ليتحول الأمر إلى حرب شوارع.

بدأ الأمر يخرج عن السيطرة، حاولت إقناع أهل المستعمرة للعدول عن هذا وترك الأمر لي وللحامية كي نتولى أمر هؤلاء القوم ولم أقصد بذلك المعنى العنيف للأمر.

كنت سأجد حلًا يجنب كلا الطرفين الكثير من الدماء، لكن فات الأوان لقد سالت الكثير من الدماء بالفعل خاصة من طرف قبيلة (سكوتان) حيث مات منهم حوالي اثني عشر- فردًا وهذا ليس جيدًا..على الإطلاق.

كنت أعلم أن كل تلك الدماء ستجذب شيئًا سيئًا في الأنحاء، كوسيط أستطيع توقع أمور كهذه.

ازداد الأمر عنفًا حتى وصلت الأمور أقصاها ذات ليلة.

يوم الغضب

أعمال العنف قد تكون مقبولة إلى حدٌ ما من أهل المكان أما بالنسبة للغرباء فلا شيء مقبول منهم، خاصة لو كانوا مجموعة من الهمج يسفكون الدماء لمجرد أن ذلك مسلٌ..

مجموعة من الحمقى سيوصموننا جميعًا بذنب اقترفوه هم وسنُعاقب جميعًا..

ذات ليلة، كنا قد تعدينا منتصف الليل منذ بعض الوقت، أخذت الكلاب والذئاب تعوي فجأة كنذير شؤم جماعي.

لم تكن ورديتي عند سور الحصن قد انتهت بعد في ذلك الوقت، استمرت الحيوانات في نحيبها وكذلك بعض الطيور الليلية ثم صمتت فجأة..

خرج الأطفال العشرة من كبائن ذويهم يرددون بأصواتهم البريئة، شيء ما يبدو خبيثًا أو شريرًا، لم أفهمه لكنهم خرجوا يرددونه قائلين:

- Dies irae, dies illa

Lacrimosa dies illa

Solvet saeclum in favilla

لم أستطع التحمل فصحت بهم سائلًا:

-ما الذي يحدث هناك؟ عودوا إلى كبائنكم الآن وأوقفوا أفعال المسحورين تلك.

- Dies irae, dies illa

Lacrimosa dies illa

Solvet saeclum in favilla

-ما الذي يحدث؟ ماذا بكم أيها المختلين؟

لحظات و بدأ أهل المستعمرة بالخروج من الكبائن في ذعر، تساءلت في ذهني "ما الذي يفعله هؤلاء الأطفال؟"

بعيدًا في قلب الظلام رأيت امرأة ترتدي فستانًا أرجوانيًا، عيناها تشعان في الظلام، تسللت القشعريرة إلى جسدي، هناك صوت بدأ يصرخ بداخلي "لن تنتهي هذه الليلة على خير"

تشع أعين البعض للحظة اللون الأرجواني ثم يتحرك بهدوء لهدم الكبائن، لاحظ الآخرون ذلك فشرَعوا بالصياح محاولين الهرب بحياتهم، لكن لم يكن هذا ليساعد..

حاولت تهدئتهم لكن لا أحد يستمع، فقط ذعر وصراخ، بعد أن انتهوا من هدم الكبائن اتجهوا بهدوء نحو القوارب ليُبحِروا مبتعدين.

- ما هذا..؟توقفوا!

فشعرت بضربة قوية سددت إلى مؤخرة رأسي..اختل توازني فسقطت على الأرض.لم أستطع سماع أي شيء للحظة فقد بدا العالم صامتًا، تمددت على ظهري لأجد (إيلاي) واقفًا وفي يده لوح خشبي.

قلت وكاد صوتي لا يخرج:
-أيها المتخلف!..الناس.يجب أن أنقذهم.

- فليذهبوا جميعًا للجحيم، على الأرجح هذه وجهتهم وهذه فرصتي كي أنتقم منك.

-هل حقًا لا تهتم؟ هؤلاء قومك!

-أن لا أعرف هؤلاء الملاعين فأنا لم أقابل أيهم قبل مجيئي ووالدي إلى هنا، تكالبتم أيها الأوغاد على والدي..سأقتلك بنفسي- ثم سأشاهد الآخرين يُمزَّقون إِرْبًا.سأسعد بذلك بالتأكيد.

شرع في ركَلْي وبدأ يهوي على جسدي بذاك اللوح الخشبي السميك، لم أقوَ على المقاومة أو الدفاع عن نفسي أو التصدي له.. بعد أن أوسعني ضربًا رفع اللوح الخشبي عاليًا مستهدفًا رأسي فبدا لي أنها الضربة القاضية.

"لقد قُضي- أمري" أو على الأقل ظننت ذلك ، .لكني لم أكن محظوظًا بهذا القدر كي ألقي حتفي بتلك السرعة.

حول إيلاي نظره عني للحظة نحو تلك السيدة الأرجوانية والتي أخذت تقترب وتقترب بهدوء منا.

أخذت بهدوء اللوح الخشبي من يد إيلاي والذي بدأ يرتجف عند اقترابها.

وقالت (بصوتين) صوت امرأة وصوت شيطان في نفس الوقت:

- ظننت أن هذا الحرف الأخير لن يُكتب أبدًا..يكفي ذلك يا إيلاي لقد خدمتني جيدًا.

وضعت يدها برقة على كتفه لتتحول عيناه للأرجواني ثم سار بهدوء نحو البحر؛ ركعت تلك الحافية لتقترب شفتاها الأرجوانيتان من أذنني قائلة:

-لا تتأخر أرجوك.. سأكون في الانتظار.

-...

ثم فقدت الوعي

بعد بضعة ساعات

استيقظت وحدي في هذا المكان المهجور.. منذ بضعة ساعات قليلة كان هذا المكان يعجّ بالناس والأطفال.. أين ذهب الجميع؟ كيف حدث هذا؟ نهضت وكدت لا أفعل، مازالت أشعر بدُوار وجسدي يُؤلمني بشدة. نظرت حولي، المكان خرب وهادئ، مهدوم وصامت..كيف حدث هذا؟ بل ماذا كان هذا؟ يجب أن أعثر على هؤلاء القوم قبل فوات الأوان.

هل من المعقول أن تكون تلك -من لا أتذكر اسمها- هي من أخبرني عنها زعيم قبيلة كرواتون؟

ألم يخبرني أنها محبوسة؟ لم أعد أفهم أي شيء..

الأهم فالمهم وما يهم الآن هو العثور على أهل المستعمرة وعلى الفور.

وعلى الفور اتجهت لجزيرة كرواتون متجهًا لقبيلة كرواتون فقد يتمكنون من المساعدة لكن.. لا أحد..؟ رحلوا جميعًا على مايبدو أم.

أيعقل أن تكون تلك اللعينة قد قضت عليهم أيضًا؟

لكن لا..هناك ورقة تركها أحدهم مثبتة بأطلال أحد الخيام وأفضل تخميني هو زعيم القبيلة من تركها..مكتوب عليها بإنجليزية ركيكة

Bathin cave south here

باثين؟ نعم أظن أنه هو الاسم، ويبدو أنها في كهف ما جنوب هذا المكان.

وعلى الفور اتجهت جنوبًا لأجد نفسي في قلب الغابة التي كنت أبحث فيها عن الأطفال من قبل، أخذت أتعمق أكثر فأكثر متجهًا جنوبًا حتى..

حتى عثرت على كهف غامض وسط الغابة تنمو أمامه الكثير من الزهور الأرجوانية.

لابد وأن هذا المكان المنشود..لا أظن أني أخطأت في العثور عليه لكن.

لكن ألم أخطأ حقا لمجرد أني جئت بقدمي إليها؟

هناك حيوات على المحك، حان وقت التصرف. وهنا سمعت صرخة مدوية تصدر من الداخل.أرجو أني لم أتأخر مع أن حاستي السادسة تخبرني عكس ذلك.

أخذت أبحث في سترتي عن خنجري" الجلاد" لأرى إذا كان مازال بحوزتي.

تنهيدة ارتياح صدرت عني عندما وجدته، على الأقل جئت مستعدًا بشيء ما.

أخذت أتوغل بالكهف، لم أر أي شيء بعد، لكن صرخات وأنين يصدر من كل مكان، بدأ جسدي يرتعد وبدأت داخل عقلي أتساءل إذا كان من الحكمة القدوم بنفسي إلى هنا..ما الذي يحدث بالداخل؟ لم أتساءل كثيراً فقد صُعقت عيني من هول ما رأيت..

في تلك الأثناء

رست السفينة ونزل ذلك الرجل النبيل السيد (وايت)، عاد أخيراً ومعه المُؤَن والعتاد يبدو كالخبر السعيد لكن من كان لينتفع بكل هذا؟

الأرض خاوية، الكبائن هدمت، لا حامية، لا كبائن، لا حياة، لا أحد.

المكان خاوٍ إلا من قبرين والكثير من التراب والزهور الأرجوانية.

maktabbah.blogspot.com

بدأ السيد (وايت) بالتساؤل"أين ذهب الجميع؟ أين ابنتي؟ أين حفيدتي؟ أين فيليب؟ تُرى هل الجميع بخير؟"

اليوم يوم مولد حفيدته الثالث..أحضر الهدايا دون أن يجد مَن يتلقاها، أين فتاة عيد الميلاد؟

تفقد ورجاله المكان ، 115 شخص عاشوا في المستعمرة ولا أثر على الإطلاق لأي أحد على الإطلاق، فقط تلك الكلمة المحفورة على عمود الحصن تسخر منه لأنه لا يكاد يفهمها Croatoan

maktabbah.blogspot.com

فتساءل السيد (وايت): "ُرى هل تلك علامة؟ لابد وأنها كذلك، قد يكونون رحلوا إلى تلك القبيلة الوَدُودة أو بالقرب منهم وتركوا لي تلك الكلمة علامةً، أيعقل أن يكون (فيليب) هو من كتب ذلك أو إليانور؟ لأن هما من يستطيع القراءة والكتابة، لكن لما قد يخطئان في كتابة اسم القبيلة؟ فيكتبان croatoan بدلًا من croaton ؟ لابد وأن نذهب إليهم الآن، يجب أن أعثر عليهم جميعًا"

أصبح الهواء فجأة ثقيلًا على رئتي فأخذت ألهث محاولًا التنفس. متى أصبح التنفس بتلك الصعوبة؟

المشهد مروع، هياكل عظمية مغطاة باللون الأحمر، تبدو طازجة، أجساد أخرى جزء منها عظمي والآخر مكسوٌ باللحم. هناك مَن مازال حيًا ليفسر ذلك..لكن ليس قولًا... يا إلهي إنهم يلتهمون أنفسهم، يقطعون بأسنانهم جزءًا من لحمهم وهم يصرخون ثم يمضغونها ويبتلعون ثم يتابعون.

تقيّأت رغمًا عني.كدت أتقيأ أمعائي.أنا أعلم هؤلاء القوم.

لم تعد تتحملني قدمي فهَوَيْتُ راكعًا أتوسل الهواء، اقتربت تلك المرأة ذات الصوتين قائلة:

-لقد استغرقت بعض الوقت، لكنك هنا، من اللطيف أن تنضم للحفل على الرغم -كما تلحظ- أن معظمه قد انتهى بالفعل.

-هذا كابوس، لا يمكن أن يكون ذلك حقيقيًا.

- يرتكب البشر ما هو أفظع ولا يبدو أنهم يهتمون كثيراً.

-هذا جنون، يجب. يجب أن.

-لا تخبرني بما أفعله أيها الإنسي اللعين.

أشاحت بيدها لتدفعني قوة خفية لألتصق بجدار الكهف المسنن، يكاد يخترق ظهري ثم تابعت بكل هدوء حديثها...
- هل أستطيع أن أسألك سؤالًا؟ كيف هو الشعور عندما تكون شاهدًا على أشياء مريعة تحدث من حولك ولا تستطيع تغيير شيء؟ مرة تلو الأخرى.

-.....؟

-تظن أنني الشخصية الشريرة! أنت مخطئ أيها الفارس، أنا بطلة هذه القصة، أنا حارسة المنارة.

-الفارس؟!!!

-أنا أعرف من أنت، سامي بن مصطفى بن ريان..

-لكن كيف؟

-سكندري لديك أخت وأخ وعائلة.

-هذا مستحيل!

-فريقك الغنائي المفضل Rammstien وأغنيتك المفضلة spieluhr

فصرخت قائلًا:

-توقفي فقط توقفي ودعيهم يرحلوا.

-ما زالت لم تفهم بعد؟ مازلت تظن أن الأمر متعلقًا بهم؟

-أنت لعينة..

لمرة واحدة في حياتي الطويلة جدًّا سأكون الشخص الطيب على المسرح وسأفعل ماهو في مصلحة شريحة كبيرة من العالم.لأول مرة سأفعل الشيء الصحيح، قلت بأنفاس متقطعة:

-وما هو؟

-سأقتلك.

-.....؟!!!

-لكن قبل أن أقوم بذلك سأوضح لك الأمر فأسوأ من الموت الجهل.

-.....

- أنت مُراقب منذ وقت طويل، أخبارك منتشرة بيننا..نحن أبناء الظلام.

-أحضرت هؤلاء القوم إلى هنا لإستدراجي! فقط أنا.

-أخيراً فهمت شيئًا لكن ليس ما أردت تعليمك أياه، كيف خرجت من محبسك؟

-(كرواتون) هو مكان سجني لذا أستطيع الانتقال إلى أي مكان يدعى كرواتون.

-هؤلاء الأطفال؟! كانوا يتعلمون من أجلك..يسعون لإحضارك.

-وسيلة بطيئة استطاعت المساعدة حتى....

-سيطرتي على إيلاي بطريقة ما هو من كتب الحرف الأخير، أرأيت؟ بدأنا نبتعد مرة أخرى عن الدرس الرئيسي بعنوان "لم أنت هنا؟"

أنت تسعى في الخراب أيها الفارس وهذا عكس الوظيفة التي تم اختيارك من أجلها، بدأ الوقت ينفد ولقد سئمت الحديث حان وقت الرحيل، تلك نهاية رحلتك أيها الفارس..سأكتبها بنفسي لكني لم أفهم بعد، لم يعد يهم الآن، كان يجب أن تعود إلى عصرك عندما أتيحت لك الفرصة، توقف الصراخ والأنين أخيراً، أطبق صمت موحش على المكان، لم يعد هناك أحد على قيد الحياة، لاطفل ولا أمرأة ولا رجل. لا أحد ١١٥ طفلًا وامرأة ورجلًا والحصيلة.لا أحد على قيد الحياة، فقط أنا.

تقترب مني رويدًا رويدًا وأن أردد في يأس "هذا ليس عدلًا"

وفجأة... وقعت عيني على شيء مكتوب فى الجدار المقابل، شيء ما لا أستطيع رؤيته بوضوح كاف في هذا الضوء الخافت،حاولت التركيز قدر المستطاع حتى اتضح قليلًا

Lare aar dar mare toar Hare lar lar

" أظن أن هذا ما كان يتغنّى به الأطفال ذلك اليوم، لكن ماذا يعني؟"

اقتربت تلك الأرجوانية شاهرة أظافرها قائلة:

-مازالت تظن أني شريرة؟ لك العذر، ليتك رأيت ما كان بانتظارك في نهاية رحلتك الصغيرة تلك والتي قد كانت تقلب موازين كل شيء.

طرقعت بأصابع يدها فتحول الجميع إلى غبار، كأنهم لم يكونوا هنا يومًا ومن ثَم لوّحت بأظافرها الحادة لتقطع عنقي ثم حررتني لأسقط على الأرض كي أختنق بدمائي، الدماء تسيل، هي في كل مكان الآن، عقلي يعمل خمسة أضعاف طاقته من جديد كي أنجو بأعجوبة ولكن كيف؟

Lare aar dar mare toar Hare lar lar

ماذا تعني؟

بدأ الأمر يتضح قليلًا..pig latin لاتينية الخزير، مجرد اسم، تلك الشفرة تعلمتها في الأكاديمية أيضًا، طريقة حلها أسهل ما يكون، ببساطة أحذف الحرفين المتلازمين والذي يبدو أنهما يتكرران في كل كلمة، تُرى هل سيسرع عقلي بما يكفي قبل أن أموت؟ هيا..أرجوك أنا أخسر المعركة هنا.

إذا نتج الآتي فقد أنقذتني للتو مرة أخرى

Le a d me to He l l

إذا اتتضح لك شيء آخر فقد خسرت أيها البطل وأرجوك حاول ألا تساعدني مرة أخرى.

دع تكوين الجملة لي. أظن أنها تعني

lead me to Hell

قدني إلى الجحيم! يبدو أنه تم إنقاذي مرة أخرى.

حاولت نطق الجملة بآخر نفس يبدو أني أحتفظ به في صدري والدماء تسد المجرى الهوائي الخاص بي.لكني استطعت نطقها بصوت مرتفع إلى حدٍّ ما

Lead me to hell

وهنا صرخت تلك الأرجوانية اللعينة...

-لاااا، ليس من المفترض أن يحدث هذا، لن أدعك تهرب، ليس هذه المرة، لاااا.

رأسي يحترق.. لم يعد هناك هواء..

حاولت الصمود لكن..الظلام ساد.

صراخ وأنين..

ذئاب تعوي..

طرق تفترق..

لحم يحترق..

إن لم تُطفئ النيران الماء

تُرى.

أتُطفئها الدماء؟

عام١٨٠٠/إحدى قرى صعيد مصر

يعمل العمال بجهدٍ مضاعَف رافعين جلابيبهم إلى خصورهم، يحملون الفؤوس، يضربون ويضربون الأرض باحثين عن شيء ما، اقترب رئيسهم وأخذ يحثهم على العمل.

-الهِمة يا رجال، أسرعوا قليلًا، إنها أوامر الخواجة عباس.

اقترب الخواجة من الموقع مشجعًا بلهجته العربية الركيكة ذات الطابع الفرنسي.

- أسرعوا أيها العمال، لقد اقتربنا كثيراً..هيا.

اتجه الخواجة إلى خيمته بالموقع ليستريح قليلًا، تبدو حروق الشمس واضحة في وجهه.

السماء دامية كوجهه المحترق.قريبًا سيحل الليل ويكون يوم آخر قد ذهب هباءً لم يعثر فيه على ما يريد..

قريبًا سيطالب العمال بأجورهم وبراحتهم ثم يرحلون ليتركوه وحيدًا يفكر في حلم مفقود، يفكر فيما لم يعثر عليه بعد.

من قال إن التنقيب عن الآثار ممتع؟ إنه شاق ويحتاج للكثير من الصبر... الكثير جدًا.

انقطعت أفكاره عندما أقبل رئيس العمال مهللًا:

-أبشر يا خواجة عباس..عثرنا عليها، لقد ظهرت البوابة

صاح الخواجة مهللًا:

-أخيرًا!.أحسنتم يارجال، لقد عثرتم على المقبرة

أسرع كلاهما إلى المكان فقال رئيس العمال:

-يبدو أن الباب محكم الإغلاق، الرجال يطرقون عليه منذ فترة دون جدوى، هل سنضطر لتفجيره؟

انتفض الخواجة معترضًا:

-لا يا ريس عبد الدايم،..لا يجب أن نفسد هذا المكان الجميل بأي شكل من الأشكال كما..

توقف الخواجة عن الكلام فجأة عندما سمع والآخرين صوت (طَرقة) عالية صدر من الداخل.

تراجع العمال بهدوء ودهشة عن البوابة وقد بدأ الذعر يتشكل على ملامحهم، عم الصمت للحظة طالت أو قصرت ومن ثَم تكرر الطرق بشكل متكرر وأكثر عنفًا، دخل العمال في حالة هياج وهلع مرددين.

-"المساخيط، احذروا المساخيط، إنهم غاضبون آآآآآآآآآآ"

حاو الخواجة تهدئتهم قائلًا:

-المياوات لا تعود للحياة، هلا هدأتم؟!

هدأ العمال ووقفوا في صمت يُنصِتون لذلك الطرق المتكرر ومن ثم صمت بدوره..وفجأة
فُتح الباب الحجري الثقيل بعنف. يقف العمال مشدوهين شاغري الأفواه في انتظار أي شيء قد يلفظه الظلام القابع بالداخل في وجوههم..

مرت لحظة صمت ومن ثَم اندفعت مجموعة مخلوقات شبيهة بالرجال سود اللون حليقو الرؤوس صفر العيون يرتدون خرقًا بالية أخذوا يطيحون بكل ما يقابلهم كالقطار الخارج عن مساره..

غير مرئيين، بالنسبة للموجودين بالموقع هناك شيء خفي يطيح بالجميع، لا يراهم أحد، وقف أحدهم بجانب الخواجة شاغر الفيه ينظر له للحظة شعر فيها الخواجة بقشعريرة دون أن يدري بالسبب ومن ثَم انطلق ذلك الشيء مبتعدًا.

رحل ذلك القطيع تاركًا الموقع في حالة فوضى، يحاول البعض جمع شتات نفسه والبعض يحاول استعاب ما حدث للتو والخواجة واقف لم يبرح مكانه يتأمل في صمت..

فصل جديد

بدأت الصورة تتضح رويدًا رويدًا أمام عيني لأجد نفسي- أحدق بنار، انتفضت على صوت رجل يقول:
-إن حكاياتك لا يمكن الاكتفاء منها يا أستاذ إبرهيم.

انتبهت لأجدنا خمسة رجال نرتدي جلابيب وبعضنا يرتدي عمائم، نتجمع حول بعض الحطب المشتعل نطلب الدفء والظلام يُخيَم حولنا " أين أنا بحق الله؟"، يبدو أني بدأت فصلًا جديدًا، أين أنا؟

سامي- أيخان- فيليب! أتذكرهم جميعًا لكن لا يبدو أني أقترب من سامي على الإطلاق..ما هذا؟

هل أدور في حلقة مُفرغة؟ هل سأظل تائهًا، مفقودًا عبر الزمن؟ ألن أعود أبدًا؟ لقد رأيت أهوالًا حتى الآن، تُرى هل سينتهي كل هذا يومًا ما؟ أريد العودة إلى أهلي، بلدي، إلى نفسي- لكن..كيف السبيل؟

أريد أن أصرخ قدر المستطاع (أنا سامي، لست أيخان، لست فيليب، وبالتأكيد لست ذلك الاسم الذي ناداني به أحدهم للتو، أنا سامي أقسم بذلك) لكن.. ما الفائدة؟.

سيمفونية حزينة تعزف في رأسي، أستطرد الرجل كلامه قائلًا:

-لقد استمتعنا كثيراً بحكاياتك في بلاد الفرنسيس.

.....-

-يبدو أن السهرة ستطول، اذهب يا علام واحضر بعض الحطب.

maktabbah.blogspot.com

تمتم علام هذا ولم يهمْ بالنهوض فتعصب الرجل موبخًا إياه:
-باه.؟ ماذا بك يا رجل؟ هل أخافتك حكايات الأستاذ إبرهيم في بلاد الفرنجة من السير في الظلام؟

فعلق أحدهم قائلًا:
-يبدو أنه يخشى أن يختطفه المساخيط بينما يحضر الحطب.

شرع الرجال بالضحك وأنا أجلس كالصخرة، لا أعرف حتى ما الذي يتحدث عنه الرجال. ثم أخذت أفكر.

maktabbah.blogspot.com

لفظ مساخيط هذا نستخدمه ونشتهر به عندنا في الصعيد للإشارة إلى المومياوات التي يعثر عليها باحثو الآثار في المقابر الفرعونية القريبة من قريتنا من وقت لآخر.

مهلًا.. لدينا في الصعيد؟.. أنا صعيدي الآن؟.. على الأقل عدت إلى بلدي أخيراً، مازالت لست أنا لكن من يعلم؟ قد أكون أقترب حقًا دون أن أدري.

ثانيًا، أعني ثالثًا بل أعني..لا أتذكر عدد المرات التي. حسنًا سأحاول من جديد.. مرة أخرى شعرت بإناء فخاري يتهشم على رأسي فتعود الذكريات لتنهمر كالسيل إذًا.

أنا إبراهيم عبدالسلام أبلغ من العمر أربعين عامًا ويبدو أني سافرتُ إلى فرنسا عندما أنهيت دراستي الجامعية منذ وقت طويل لأكمل دراستي هناك..

ويبدو أيضًا أني عدت منذ بضعة أشهر إلى قريتي بالصعيد كي أستقر بها كما يدو أيضًا أنه منذ ذلك الوقت وأنا أقضي كل ليلة مع هؤلاء الرجال حول النار أقص عليهم مغامراتي في فرنسا وهم يتسلون كثيراً بذلك.

لا داعي للتخمين، لابد وأني وسيط فمنذ أن بدأت رحلتي المشؤومة تلك وأنا كذلك، استأذنت من الرجال كي أعود للمنزل.

لا أشعر أني بخير لو لم أكن كبيراً في السن بما يكفي لأخذت أضرب الأرض بقدمي مرددًا (أريد العودة إلى أمي..أعني وطني)

أتذكر مكان المنزل فهو ذلك المنزل الكبير على أطراف القرية والمحاط بحديقة خاصة، دخلت المنزل متجهًا إلى حجرتي كي أنام متمنيًا ألا أستيقظ أبدًا...لأجد المفاجأة

في تلك الأثناء

بدأ الخفير بالتثاؤب، ومن يلومه؟ لقد قضى ليلة طويلة في حراسة مخزن شبه مملوء بالغلة..لا يبدو أن هناك مَن ينوي سرقة أي شيء فلم يحاول أي أحد منذ سنوات، إنها قرية صغيرة ومسالمة..جمعيهم كالأهل، دخل الخفير ليستلقي قليلًا على كومة من القش فغلبه النوم.

بعد بضع ساعات استيقظ منتفضًا، نهض جالسًا ينظر يمينًا ويسارًا لكن لم يكن هناك أحد.لا أحد يراه على أي حال، هناك قشعريرة غريبة تسري في جسده دون أي تفسير، لم يكن يعلم ما يقبع هناك بجانبه، هذا الأسود حليق الرأس أصفر العينين، ميت الملامح، ينظر له نظرات ثاقبة تخترقه ولا يدري.

لا يتحرك، لا يتنفس، لايكل ولا يمل، فقط يقف هناك يحملق بالمسكين والذي كان خطؤه الوحيد أنه حاول النوم مرة أخرى.

فجأة أخذ الرجل يئن أثناء نومه.إنه يختنق، مازال هذا الشيء يحدق به، شرع الرجل بالصراخ أثناء نومه.مازال هناك يقف في هدوء.. يصرخ الرجل ويصرخ، يتلوّى في ألم وضيق، مازال نائمًا..ظل كذلك لساعات ومن ثم صمت تام.
ظل ذلك الشيء يحدق به قليلًا ومن ثَمَّ رحل مبتعدًا دون أي تعبير..فقط رحل، لقد أتم مهمته

مونيك

دخلتُ حجرة نومي لأجد تلك السيدة، ذات الشعر البني الناعم تجلس أمام المرآة تصففه برقة، استطعت اقتناص جزء من ملامح وجهها في المرآة "إنها حقا جميلة".

أخذت أتساءل في نفسي" تُرى هل هي عفريتة أم جنية؟ نعم لا بد وأنها شيء ما ظلامي فأنا لم تدخل امرأة حقيقية حياتي حتى وأنا سامي، نظرت بدورها لصورتي بالمرآة قائلة:

-لقد عدت باكرًا اليوم يا عزيزي..تُرى كانت السهرة مملة؟

لم أعلق، لكْنَتُها غريبة، تتحدث العربية بصعوبة واضحة لكنها تحاول..تُرى من هذه؟

الذكريات تندفع إلى رأسي من جديد..مونيك!

من مونيك؟ هذا الاسم يبدو مألوفًا. نعم مونيك لوسيان.زوجتي، تزوجنا بعثتي بفرنسا منذ زمن، لدينا ولد وبنت لم أتذكر اسمهما بعد، لديها أخ يدعى..

قاطعت أفكاري قائلة:

-عزيزي، ماتياس كان هنا، لقد أراد مقابلتك بشدة، لقد أخبرته أنك تقضي هذا الوقت مع بعض رجال القرية وتعود فجرًا لذا أخبرني أنه سيعود في الصباح الباكر كي يحدثك في أمرٍ هام، لم يطلعني عليه..ليس بعد على أي حال.أتمنى أن كل شيء بخير.

...-

الخواجة عباس

استيقظت على جلبة منتفضًا، اقتربت الخادمة ذات الملابس القروية قائلة:

-صباح الخير يا سيدي

-.....

أتذكر تلك الفتاة."سعدية" على ما أتذكر عندما جاءت للعمل لدينا وهي في الثالثة عشرة من العمر لإعالة أسرتها وافقت زوجتي على الفور بشرط أن تعلمها القراءة وتهتم بها وذلك لأنها لمحت فيها الذكاء والفطنة..

أصرت أيضًا زوجتي أن تجعلها ترتدي الملابس القروية في المنزل بدلًا من ملابس الخدم وذلك لأنها تحب أجواء القرية المصرية وتريد رؤيتها حتى داخل المنزل كما أنها لم تعترض على الإطلاق ارتدائي للجلباب عند مقابلة رجال القرية في المساء..بل شجعتني على ذلك كي لا أنسى من أنا.

إمرأة متفهمة حقًا، لكن ما تلك الجلبة؟

قاطعت الفتاة أفكاري قائلة:

-لقد كنت على وشك إيقاظك يا سيدي..

-ما سبب تلك الجلبة؟

-إنه الخواجة عباس..يريد مقابلتك لأمرٍ هام.

-الخواجة عباس؟

تذكرته الآن، إنه أخو زوجتي ويُدعى ماتياس ولأن الاسم صعب على ألسنة القرويين البسطاء أصبح اسمه الخواجة عباس، لقبوه بذلك وهو لم يعترض بل رحّب بإطلاق اسم عربي عليه كما أنهم يطلقون على زوجتي اسم (الست منى).

بدلت ملابسي وخرجت لرؤيته على الفور، لمحت علامات الفزع على وجهه ووجه زوجتي.
-ماذا بكما؟

فقالت مونيك في اضطراب:
-ماتياس أخبرني للتو بشيء مريب أظن أنه من اختصاصك كوسيط.

-وسيط؟

"يبدو أنكما تعلمان عني الكثير، تُرى ما الذي تعرفونه غير ذلك؟"
نعم أتذكر الآن لقد قابلتها - أعني إبراهيم قابلها - عندما كنت في أحد المهمات أثناء البعثة في فرنسا، أتذكر أيضًا أنها ساعدتني في العديد من المهام الوسيطية.

قال ماتياس لينتشلني من أفكاري:

-إبراهام..هل تسمعني؟

-هه..ماذا؟ أكنت تتحدث؟

فقالت مونيك:

-عزيزي، انتبه قليلًا..هذا أمر هام وخطير.

-عفوًا فأنا لم. ماذا قلت؟

فقص ماتياس عليّ من جديد ما حدث منذ أسبوع بالضبط والمقبرة التي أكتشفها والتي خرج منها شيء خفي يدفع الرجال كالحصان الهائج فقلت له:

-إذًا..

- إذًا؟ أتمزح؟ على أي حال نحن لم نصل للجزء الغريب بعد.

-وهو؟

-عندما دخلت لأكتشف المقبرة لأكتشف أنها لم تكن كذلك.لا توابيت، لا كنوز..لا شيء يدل على أنه كان هناك أحد مدفون هنا أو حتى إنها كانت مُعَدَّة من أجل ذلك..لا رسومات على الجدران فقط بضعة رموز لا دخل لها بالنقوش المصرية القديمة.

- هذا حقًّا عجيب، لكن هل أنت متأكد من أن هناك شيئًا غيرَ طبيعي وقد يكون هذا..لا أعلم ضغط هواء دفع الباب عندما أزيل التراب من أمامه ومن ثَم دفع العمال وهناك أكثر من خمسين عامل يتلقون العلاج الآن في المستشفى في المدينة، معظمهم كانوا بعيدين نسبيًا عن الموقع من الأصل.

-وإليك ما هو أغرب، في ذلك الأسبوع ومنذ أن اكتشفت المقبرة أو مهما كان ما اكتشفته، مات اثنا عشر شخصًا آخرهم الخفير عواد ليلة أمس.

-وباء؟

- لا، على الرغم أني أشعر أننا سنتمنى لاحقًا أنه كان كذلك.

تحقيق

عكفت مونيك وماتياس على البحث وسط أساطيل الكتب التي جمعتها طوال حياتي والتي تحتوي على الكثير من الموسوعات المتعلقة بمخلوقات الظلام والكثير من كتب السحر وبعض الكتب التي خطها وسطاء آخرون.

أما أنا فنزلت للتحقيق ميدانيًا فيما حدث فقد أستطيع تقصّي الأمر ومعرفة ما الذي يحدث..

اتجهت إلى مستشفى المدينة واطلعت على التقارير الطبية الخاصة بوفات هؤلاء المساكين، يسر لي الأمر بعض الوسطاء العاملين هناك.

أكّدت التقارير باختصار أنهم تُوفُّوا نتيجة لحالة انفجار في القلب.

بدا اسم الحالة مفجعًا، سألت أحد الأطباء عن تلك الحالة فأكد لي أن ذلك كان نتيجة لحالة من الهلع غير العادي أدّى إلى تدفُّق الدم إلى القلب بقوة وبسرعة وبكمية تفوق احتماله أدى إلى انفجار في القلب.

لم أستوعب هذا الأمر جيدًا فمثلًا أظن أن الإنسان عندما يتعرض لحاله عنيفة من الخوف أو الفزع يتوقف قلبه، لكن انفجار؟

أكدت التقارير أيضًا أن جميع الحالات ماتت أثناء نومها.

يبدو أنه لم يستيقظ أي منهم كي يحكي عما حدث فقط ناموا ففَزِعوا فماتوا..

الكثير من علامات الاستفهام بدأت تتراقص في رأسي، اتجهت إلى القرية وبدأت أستجوب أسر وأقارب وجيران الضحايا والذين أكَّدوا أنهم سمعوا صراخهم وأنينَهم أثناء نومهم حتى ماتوا " يا إلهي، ما الذي يحدث بالضبط، يجب أن يضع أحدهم حدًّا لما يحدث، يجب أن أتصرف"، وبعد يومٍ شاق وطويل، عدت للمنزل.

-هل وجدتما شيئًا؟

أجابت مونيك:

-لم نقترب حتى، وأنت؟

قصصت عليهم ما توصلت له حتى الآن، فسألت مونيك:

-هل نتحدث عن جاثوم أو ثقوبة؟

- مستبعد، فأنا لم أسمع عن أي منهما قتل أحدًا من قبل، كما أن هذه ميتات عنيفة ومؤلمة وفزع لا أظن أن جاثومًا أو ثقوبة يستطيعان تدبرها.

فقال ماتياس:

- لكنك قتلت اثنين منهم الشهر الماضي أيُعقل أن يكون انتقامًا؟

فقلت: لا أظن ذلك، أشعر أن لهذا علاقة بما اكتشفته في الصحراء منذ أيام يا ماتياس.

فاقترحت مونيك:

-إذًا لم لا نقوم بزيارة إلى هناك؟

قطع حديثنا طفلة اندفعت إلى الحجرة مستغيثة:

-أمي.يجب أن توقفي آدم عند حده

فسألت مونيك باهتمام:

-ماذا حدث الآن؟

-لا يتوقف عن مضايقتي.

اندفع إلى الغرفة خلفها صبي مراهق مطاردًا إياها لكنه توقف عندما وجدنا بالحجرة، فعلقت مونيك:

-هلا توقفت عن مضايقة أختك؟

-لكني لم أقم بذلك، هي من يتصرف كالأطفال، انظروا. حماقة الأطفال في عينيها.

فصاحت الفتاة موبخة إياه:

-الغباء بالنسبة لك هواية.

فرد بدوره:

-حمقاء.

-غبي.

-بلهاء.

لم أستطع التحمل فصحت... توقفا..

نظرات الدهشة سلطت علي..فبالنسبة للأستاذ إبرهيم فالصياح ليس باحتمال وارد فهو يبدو هادئ الطباع ومسالم، لا أعرف كيف أصبح هذا الأحمق وسيطًا! لكن ليس إبرهيم الجديد الممزوج بسامي وأيخان وفيليب.

علق ماتياس:

- عجيبٌ أمرك إبراهام، لم نعهدك هكذا من قبل.

وأيدته مونيك قائلة:

- ماتياس محق، لم نعهدك عصبيًا هكذا خاصة مع الأطفال.

-ستعهدون ما هو أكثر من ذلك مني وذلك من الآن فصاعدًا وإذا لم يتوقفا عن ذلك الآن سأضربهما بإحدى أرجل أحد المقاعد.

صمت سيطر على الموقف للحظة ثم قلت مستطردًا:

والآن أيها المعاقان ذهنيًا، كل ما نعتُّما به بعضكما البعض مترادفات ذات نفس المعنى، والآن اعتذرا لبعضكما ثم تواريا عن الأنظار

اعتذر كلاهما لبعض ثم خرجا بهدوء، فقالت مونيك:

-تعجبني قوة الشخصية المفاجئة التي أصبحت تتمتع بها لكني لست واثقة أني معجبة كثيراً بطريقة معاملتك لأطفالنا.

"مزيد من الأطفال؟.كم أكرههم! هم من وضعني في ذلك الموقف السيئ مع باثين وتسببوا في قتلنا جميعًا."

غيرت موضوع الحديث قائلًا:

-ليس لدينا اليوم بطولة، إننا نخسر ضوء النهار، لنذهب إلى تلك المصيبة التي اكتشفها الخواجة عباس لنحقق في أمرها.

فقالت مونيك في غضب:

-اذهبا وافعلا ما تشاءان، لن أبارح مكاني.

حقيقة جديدة

حملنا مصباحًا كيروسين ودخلنا لاستكشاف ذلك المكان المشؤوم.

كانت حجرة، فارغة تمامًا من أي شيء يدل على أنها حجرة دفن أو مخزن غلال أو حتى مرحاض عام.لا شيء، فراغ تام، فقط بعض الرموز المكرّرة على كل جدار بالحجرة وعلى الباب من الداخل والتي تبدو سحرية أكثر منها فرعونية.

قلت معلقًا:

- لا عجب أنك لم تجد أي شيء يتعلق بالمقابر الفرعونية، تلك الرموز..

-ماذا بها؟ ماذا تعني؟

- إنه سجن، حُبس به شيء متعلق بمخلوقات الظلام، وتلك الرموز لتمنعه من..لا أعرف، الهروب عبر الجدران سواء بالحفر أو.

-أو ماذا؟

-الانتقال الآني

.....-

-انظر.!

هناك آثار خدش على الباب من الداخل، طمست أجزاء كبرى من الرموز التي كانت عليه، فقلت شارحًا:

-خدش الرموز السحرية مؤلم بالنسبة لمخلوقات الظلام كوضع يدك في مجرى من الحديد المنصهر..

-.....

-أظن أنها مجموعة وقطيع وتستطيع استخدام أي كلمة تعبر عن الجمع، كما يبدو أن الطرق على الباب من الخارج ساعد على حدوث صدع ليفصل أحد الرموز عن بعضه مما أبطل مفعوله السحري فانطلقوا كماراثون الثيران بإسبانيا.

-لكن ماذا يكون هؤلاء؟

-لا أعرف بعد.

جريمة جديدة

يلعب الأطفال الثلاثة في صحن الدار، عزة ومريم وسيد تسعة أعوام وسبعة أعوام وثلاثة أعوام، يلهون ويجرون هنا وهناك.

maktabbah.blogspot.com

جاء سالم من الحقل متأخرًا جرى الأطفال نحوه ليحيوه، احتضنهم وقبّلهم. بعد تناول العشاء أخذت الأم الأطفال لتساعدهم على الاغتسال ومن ثَمّ الذهاب إلى النوم. غطت الأم الأطفال ووقفت تراقبهم لتتأكد أنهم استقروا في فراشهم وأغمضوا أعينهم استعدادًا للنوم ومن ثَم أغلقت باب الحجرة ورحلت. بمجرد رحيلها سرعان ما نهض الثلاثة ليقفوا أمام النافذة، يتأملون الأجواء المظلمة بالخارج ويناقشون مواضيعهم الطفولية بينما يستعد الأبوان للنوم.

maktabbah.blogspot.com

بعد بضعة دقائق دخل المنزل خمسة من الرجال السود حليقي الرؤوس هؤلاء، اتجه اثنان منهم إلى حجرة الوالدين وثلاثة انتظروا خارج حجرة الأطفال في انتظارهم كي يناموا، ويبدو أن الأطفال لم يقرروا ذلك بعد.

انتفض سالم وزوجته فجأة من النوم، شعرا بقشعريرة تسري بجسديهما، عاد الرجل للنوم بينما ذهبت الأم لتطمئن على الأطفال.

maktabbah.blogspot.com

ضبطت الأم الأطفال تائهين في عالمهم الطفولي أمام النافذة بينما تجاهلوا تعليماتها تمامًا مما أثارها فبدأت بتوبيخهم وإجبارهم على العودة إلى فُرُشهم، وبينما تتوعدهم بأن تفعل بهم الأفاعيل بالصباح الباكر فإذ بالزوج يصرخ ويصرخ، يكاد يلفظ طحاله من فمه.

هُرِعت الزوجة إلى حجرة نومهما وتبعها الأطفال، حاولوا قدر المستطاع إيقاظ الزوج دون جدوى وسيد ذلك الطفل الصغير مازال يقف عند باب الحجرة يأبى الدخول. أمام الباب يقف في صمت، يبدو أنه على وشك الدخول في صدمة يحملق في ذلك الرجل الأسود الذي يحدق بوالده المفزوع.

توقف الأب أخيراً عن الصراخ وتمدد جثة هامدة بينما بدأت الأم بالصراخ والعويل ولطم وجهها. ظل هو واقفًا هناك..حول ذلك الكائن أخيراً نظرَه عن الأب موجهًا انتباهه نحو الطفل المشدوه، متسع العينين، اقترب الكائن من الطفل الذي لم يبرح مكانه بينما تبول لا إراديًا ودموعه تنهمر.

لا يظهر أي تعبير على هذا الوجه الأسود الجامد أمام كل تلك البراءة التي تحدق به..هو خارج سيطرته الآن فهو ليس نائمًا..

رحل الكائن بهدوء دون أن يلتفت خلفه تاركًا وراءه الكثير من الصراخ والعويل والبكاء.

ليلة طويلة

طـوال الليـل لم يتوصـل أي منـا إلى شيء، بـدأ التعـب يـتمكن منـا جميعًا فقال ماتياس:
-لا شيء؟ طوال الليل ولا شيء؟!

علقت مونيك:
هذا ليس عدلًا

واضعًا رأسي الذي أشعر أنه ضعف وزني على الكتاب الذي أمـامي، فقلت بصعوبة وإرهاقٍ واضح:
-إذا قرأت سطرًا آخر سأنفجر وأتحول إلى أشلاء.

طَرْق مُلِح وعنيف صدر من بـاب المنـزل انـتفض ماتيـاس ومونيـك بينما لم أمتلك أنا تلك الطاقة مكتفيًا باتخاذ الكتاب وسادة.

أسرع ماتياس لفتح الباب ليجد أمامه الخفير مسعَد والـذي بـدا في عَجَلة من أمره قائلًا له:
-مرحا يا خواجة، أين الأستاذ إبراهيم؟

فناداني ماتياس بقلق:
-إبراهام! هناك من يريدك بالخارج.

لم ترغب رأسي عن مبارحة وسادتها الجديدة فقلت له:

-سأقابله بعد أن أغيب عن الوعي لبضع لحظات.

اندفع مسعد قائلًا:
-النجدة يا أستاذ. إنها كارثة.

-المزيد؟ لا أريد سماع أي شيء.

-إنه أمر هام..إنه سالم (صاحب السبعة قراريط القبلية)، لقد مات منذ لحظات، النواح يصدر من كل مكان بالمنزل.

-سيكون هناك نواح بالفعل إذا لم أنم في الحال.

عنفتني مونيك قائلة:

-لا تكن بارد الأعصاب هكذا، هناك كارثة في القرية، إذا لم تتصرف فلن يقوم أحد بذلك.

تنهيدة طويلة صدرت عني، غسلت وجهي ببعض الماء ثم خرجت وماتياس مع الخفير.

النواح بالفعل يصدر من كل مكان بالمنزل، الزوجة يجب أن توفِّي دينها للزوج بتلك السيمفونية الجنائزية الصعيدية ويصطحبها بعض المؤثرات الصوتية كاللطم على الوجه وبالطبع انضم إليها الجارات والأحباب يَنُحْن بجانبها..

" هذا لا يُحتمل"

طوال الطريق كان قد قص علينا الخفير ما يكفي كي أكوّن فكرة عامة عما حدث، لاحظت بعض المياه بجانب حجرة القتيل فسألت:

-ما هذا؟

فأجاب (عيد) جار المتوفي..

-إنه (سيد) الطفل ذو الثلاثة أعوام، تبول على نفسه عندما وجد أمه تصرخ وتنوح لوفاة أبيه.

"يبد أن هناك ما هو أكثر من ذلك، حدسي الوسيطي يخبرني بأن الطفل رأى شيئًا، يجب أن أرى الفتى"

وجدت فتاة صغيرة تبدو في الثامنة أو التاسعة من العمر، اقتربت منها، تبدو حزينة للغاية فسألتها بهدوء:

-ماذا حدث أيتها الصغيرة؟

-أبي مات.

" لا تعامليني كالغبي أيتها القصيرة، فلست في مزاج للتزاكي"

- أظن أني لاحظت ذلك، أعني ماذا حدث لوالدك؟ ماذا رأيت؟

بكت الفتاة بغزارة ثم قالت:

-جاءتْ أمي توبخنا لعدم نومنا فسمعنا أبي يصرخ.

صدر عنها بعض النشيج ثم تابعت:
- أسرعنا إلى حجرة أبينا..كان مازال حيًا، أخذ يصرخ ويصرخ دون توقف، أخذنا نهزّه بقوة محاولين إيقاظة حتى أمي صفعته عدة مرات.

" لابد وأنها سعدت بذلك"
مزيد من النشيج والبكاء ثم تابعت:
لكنه لم يستيقظ ولم يتوقف عن الصراخ..حتى.حتى.

ومن ثَم أجهشت بالبكاء ثم اقتربت مني وتحتضني دون أن أعرف السبب وهي تبكي بشدة، ولسبب ما أيضًا احتضنتها محاولًا التخفيف عنها.. هدأت قليلًا ثم تركتني فتابعت أسئلتي:
-وماذا عن أخيك؟

-سيد؟ ماذا به؟

-لم تبوّل على نفسه عند باب الحجرة؟

-إنه في الثالثة.

-وإن يكن، هل أفزعه شيئًا؟

- لا أعرف. أعني هو يبدو خائفًا ولكنه لم يتحدث إلى أحد حتى أنا أريد رؤيته

دخلت حجرة الأطفال الثلاثة لأجده يجلس القرفصاء ليبدو ككتلة صغيرة الحجم.

اقتربت منه لأحدثه في هدوء فلم يلتفت، حاولت إغراءه ببعض الحلوى التي وجدتها في جيب معطفي لكنه لم يُبْدِ أي اهتمام.

بدا أنه هنا وليس هنا، لم يغرِهِ أي شيء أفعله على الإطلاق، أخذت أفكر لبضع لحظات ومن ثم دخلت مباشرةً في أصل الموضوع.

- أخبرني أيها الصغير، أعلم أنك رأيت شيئًا..أخبرني وسأصدقك، أعدك بذلك، ماذا رأيت؟

ومن ثم أنطلق كسرينة القطار يصرخ قائلًا:
-العفريييييت.العفرييييت..

انتفضت كالذي انفجر في وجهه الموقد ولكني لم أستهن بما قاله..بالفعل رأى شيئًا، اندفعت أخته إلى الحجرة لتحتضنه وتهدئ من روعه وطلبت مني الرحيل، تجاهلتها متابعًا أسئلتي:
-ماذا يكون هذا العفريت؟ كيف يبدو؟

يتنشج ويصرخ قائلًا:
-العفريت الأصلع سيأكلني..العفريت الأسود سيأكلني.

" لابد وأنه أصلع وأسود.ماذا عساه أن يكون؟"

يقال إن الأطفال في سن معينة يستطيعون رؤية أشياء لا يراها الناس، خاصة من لا يستطيعون الكلام منهم، قد يكون هذا ما حدث مع الطفل، أو قد يكون هناك مشروع وسيط له في المستقبل. من يعلم؟

لم يكن هذا هو الحادث الوحيد لتلك الليلة فوصلتني أخبار وأنا في منزل سالم أن أسرة كمال وأسرة مصلحي قُضي عليها في ذات الليلة بالفعل.

حصيلة الضحايا حتى الآن ثلاثة وعشرين شخصًا بينهم سبعة أطفال..هذا كثير كي يُحتمل.

" يجب أن أجد حلًا وبسرعة لكن تُرى..ما هو؟"

مسألة حياة أو موت

في الصباح بعد أن نلتُ قسطًا من الراحة واصلتُ العمل ومونيك وماتياس في البحث وسط أساطيل الكتب التي أمتلكها. وأخذت أقُص عليهما ما سمعته وما استنتجته:

-من رواية هذا الطفل، لابد وأن ما رآه أسود وأصلع وما يحدث الآن يبين أن له تأثير الجاثوم وأزيد بحوالي ٥٠٠ ڤولت من الشر الخالص.

فسأل ماتياس في يأس:

إذا لم يكن جاثومًا إذًا عدنا للمرحلة صفر..مازلنا لا ندري ما هذا!

لكن لدينا مواصفات هذ المرة قد تساعد كما أن..

أقتحم(آدم) الحجرة قاطعًا حديثنا قائلًا:

أبي! أريد أن أحدِّثك في أمرٍ هام..

نظرت حولي لوهله باحثًا عمن يتحدث إليه ذلك الفتى ثم عدت لأستوعب أنه يحدثني: "أبي؟ لم أعتَدْ تلك الكلمة..ولن أعتادها لوهلة".

فقلت للفتى:

-أبوك يعمل الآن، اذهب والعب في مستعمرة النمل بالخارج.

-أنا في السابعة عشرة، توقف عن معاملتي وكأني في الثانية من العمر.
-أنت في السابعة عشرة؟ ماشاء الله! أذهب الآن ولنكمل حديثنا عندما تتم السابعة والعشرين.

اندفع الصبي خارجًا من الحجرة ينفث نارًا يتمتم بكلام غير مفهوم وقد يكون سبابًا على الأرجح.

سألت مونيك بحدة:
-ماذا بك يا إبراهام؟
-هيم هيييييم. اسمي إبراهيم، الكلام موجّه لكليكما.

فقال ماتياس:
-لقد تغيرت كثيراً

فقلت:
-لقد حذرتكما مسبقًا.

فسألتْ مونيك بحزن:
-لم تعامل طفلينا هكذا؟

فأجبتُ آسفًا:
-لا أعرف..أظن..أعني..سأصلح الوضع، أعدك بذلك لكن الآن، لننقذ شخصًا.

عدنا لمناقشة موضوع تلك القضية المعقدة صَمتٌ خيم للحظة "تُرى ما الذي يقتل هؤلاء الأبرياء أثناء نومهم؟ جاثوم؟ ثقوبة؟ فريدي من فيلم كابوس في شارع إلم؟ nightmare on elm street ؟"

كسرت مونيك الصمت قائلة:
-إن لم يكن ثقوبة أو جاثوم فقد يكون شيئًا من نفس الفصيل. أو حتى مزيجًا بينهما.

وهنا أضاء المصباح في رأسي فأسرعت بلهفة قائلًا:
-فصيل.؟ مزيج..؟ نعم، هذا هو، انتظروا لحظة.

بحثت وسط أرفُف الكتب لأول مرة وأنا أعرف ما الذي أبحث عنه، تناولت كتابًا أخذت أقلب في صفحاته قائلًا:

-أظن أني أعرف ما هذا! أظن أنهم من الكامبيون حيث قيل عنهم إنهم سلالة الجاثوم ويكونون إما مشوهين أو توائم. لابد وأنهم ورثوا قوى الجاثوم وأكثر، وجدت الصفحة المنشودة فبدأت أقرأ بصوت عالٍ.

-إنهم فصيل من أبناء الظلام لهم تأثير الجاثوم والثقوبة وأكثر، يستطيعون قتل الشخص أثناء نومه فزعًا.

لدى كل إنسان حاسة سادسة وقد تكون ضعيفة للغاية، تستطيع تلك الحاسة استشعار تأثيرهم فيستيقظ الفرد من النوم عند حضورهم، وتسري في الجسد قشعريرة كتحذير لحضورهم.إذا نام الشخص مرة أخرى فلن يستسقظ أبدًا.

ثم قرأت مردفًا:

-هذا الجنس ليس هجوميًا بطبعه فهم يميلون للتخفي والانزواء بعيدًا في الظلام..

فعلق ماتياس:

-لكن هؤلاء غاضبون، لابد وأنهم حُبسوا لوقت طويل، لا لوم أنهم يهاجمون الناس.

فقلت محذرًا:

-لابد وأن مَن حبسهم عاش في تلك القرية قديمًا، لذا أخشى أن هناك طوفانًا من الغضب قد يجتاح القرية في الأيام القليلة القادمة.

فسألت مونيك بقلق

-ولم تقول ذلك؟

-لأني أظنهم تدربوا بما يكفي في هـذا العـدد القليـل مـن الضـحايا، ونشطوا قواهم الصدأة وسيغزون القرية قريبًا لنيل انتقـامهم غـير المبرر.

سأل ماتياس بجزع:

- وما العمل إذًا؟ يجب أن نعثر ونقضي عليهم قبل أن يقضوا علينا..

" ألا تظن أني أعرف ذلك بالفعل أيها المتلعثم؟"

-سأحاول قدر المستطاع للبحث عن حل.

فاقترحتْ مونيك شيئًا:

- يجب أن نرسل نادية وآدم بعيدًا عـن هنـا. سأرسـلهم إلى أمـي في باريس.

فقلت موافقًا:

-نعم، فكرة ليست سيئة، والآن مشكلة الكامبيون تـتلخص في. أيـن هم؟

آدم

خلد جميع من بمنزل الأستاذ إبراهيم للنوم ما عدا ذلك المشاكس آدم.. هناك من يموت في مكانٍ ما بالقرية فوجب عليه أن يفعل شيئًا أو هكذا كان يفكر.

من المفترض أن يرحل هو وأخته في الصباح الباكر إلى الميناء لاستقلال أول باخرة متجهة إلى باريس، "الجندي لا يهرب من أرض المعركة؟ هذا كل ما تردد بذهنه، بينما يتسلل متجهًا نحو باب المنزل صدر ذلك الصوت الصغير الهادئ من خلفه.

-ماذا تفعل يا آدم؟

توقف عن التنفس للحظات ثم استوعب أنه صوت أخته نادية، فاستدار لها وأخذ ينهرها ليجبرها على العودة إلى فراشها.

-اذهبي لحجرتك الآن، وما أفعله ليس من شأنك.

-إذا لم تخبرني سأوقظ أبي وأمي على الفور وأخبرهما.

ضغط على أسنانه في غيظ ثم اقترب منها قائلًا:

-سأذهب لاستنشاق بعض الهواء.

-كاذب.

....-

-أخبرني وإما سأخبرهما.

-.....

نظرت له ببراءة الأطفال بعينيها الواسعتين، تترقرقان وتحملقان به سائلة:

-إلى أين؟

فقال هامسًا:

-منذ يومين كنت أتفقد الحقول فلمحت شيئًا غير طبيعي.

.أين؟

-لن أخبر أحدًا، فقط أخبرني.

-عند مخزن القمح المهجور بالقرب من أرض سالم، سأذهب لتفقده الآن؟ وما هو الشيء غير الطبيعي هناك؟

-إنهم رجال.سود وحليقو الرؤوس و..لا أعلم، مظهرهم مرعب حقًّا. سمعت والدي ذلك اليوم يتحدث عن أنهم سبب ما يحدث لأهل القرية، سأذهب للقضاء عليهم.

-ألهذا تحمل عبوّة الكيروسين معك؟

-يجب أن يوقفهم أحد.

-لم لا تخبر أبي؟

- حاولت..حان الوقت كي أثبت لـه أني لم أعـد طفـلًا وسـأكون بطـل هذه القرية عندما أخلصهم من هذا الخطر.

-أخشى أن يصيبك سوء.

- سأكون بخير، سأعود قبـل شروق الشـمس والآن.عـديني أنـك لـن تخبري أحدًا.

-هزت الفتاة رأسها موافقة فقال.

-الآن عودي إلى فراشك فالجو بارد.

عادت الفتاة لفراشها بينما انطلق الفتى إلى الحقول.
بعد عشرين دقيقة سيراً وصـل أخـيراً إلى أرض سـالم فأخـذ يراقـب الوضـع..يبدو هادئًـا، اقـترب بحـذر مـن المخـزن المهجـور وألقـى الكيروسين على جميع جدران المبنى ذي الطوب اللـبِن، نظـر خلسـة بين الشقوق ليتأكد أنهم بالداخل لكن.ليس هناك أحد.

على الفور اتجه إلى الباب وفتحه بحرص.. صرير يصدر مـن البـاب، التراب في كل مكان..بعض الحشرات زحفت مبتعدة عـن الطريـق.. سقطت بعض الأتربة والحشرات على ملابس الصـبي ورأسـه فأخـذ ينفضها بقرف وازدراء.

أخذ يفكر لابد من وجود شيء يدل على هُوِيّة هؤلاء الغرباء لكن.

لا يوجد فراش على الأرض يدل على أنهم ينامون هنا، لا يوجد طعام أو بقايا طعام لتدل أنهم يأكلون هنا.ما هذا؟ من هؤلاء؟

سرت قشعريرة في جسده بينما يزحف أحدهم كالعنكبوت على الجدار خلفه مسلطًا نظراته الثاقبة عليه وعندما استدار الفتى كان قد زحف عائدًا إلى الأعلى فلم يره.

سقط المزيد من الأتربة على ملابس الفتى وبعض القش وبعض الحشرات.. نفضها مرة أخرى في قلق ومن ثَم نظر إلى مصدر الأتربة بالسقف ليجد هذا المنظر المروع.

مجموعة الرجال السود هؤلاء متشبثين بالسقف بالأعلى، يبدو السقف كوكر للعناكب، فزع الصبي ليسقط على ظهره فيمزق جزء من ملابسه ويجرح ذراعه.

سرعان ما تماسك الصبي..يبدو أنهم لم يشعروا بوجوده أو هكذا ظن الصبي، نهض بهدوء، لم يحوّل عينيه عنهم بينما تأخذه قدماه للخارج، لكن سرعان ما توقف عندما حول عينيه نحو الباب ليجده مغلقًا ويزحف عليه هذا الأسود كالبرص. اصدر ذلك الشيء صريرًا عاليًا لينتبه الآخرون بوجود الصبي لتُصَلَّت كل تلك العيون الصفراء عليه ومن ثم.. صدرت صرخة عالية من داخل المخزن، لم يسمعها أحد غير الحقول الواسعة والطرقات الخالية.

في الصباح طلبت مونيك من سعدية إيقاظ الأطفال كي يتناولوا الإفطار والاستعداد لرحلتهم إلى باريس. أيقظت سعدية (نادية) وعندما دخلت حجرة الصبي لم تجده.

اجتمعنا أنا ومونيك وماتياس حول مائدة الإفطار في انتظار الأولاد، نزلت ناديه على استحياء كالطفل الذي بلل فراشه للتو..

سحبت مقعدًا وجلست بهدوء دون أن تنطق ببنت شفاه فسألت مونيك سعدية.

-أين آدم؟ ألم يستيقظ بعد؟

-لا يا (ست منى) أنا لم أجده في حجرته من الأصل.

-أين هو إذًا؟

-لا أعرف يا سيدتي.

...-

فقال ماتياس:

-لابد وأنه في الحديقة.

جلست وكأني لست جزءًا من الموضوع فقالت مونيك:

-إبراهام! اذهب وابحث عنه.

تنهدت بضجر قائلًا:
-حسنًا.

"هذا الشقي التعيس، سأنتزع شعره الناعم ذاك وأطعمه إياه، فقط عندما أجده"
عدت إليها صفر اليدين فلم أجد أحدًا، بدأت مونيك تساورها الشبهات حول نادية فسألتها:
-عزيزتي.أنتِ تعرفين شيئًا أليس كذلك؟

.....-

-نادية! أين أخوكِ؟

بكت الطفلة منهارة قائلة:
- آسفة يا أمي لقد طلب مني ألا أخبر أحدًا.

مازالت مونيك تحاول ألا تجزع سائلة الطفلة بهدوء كيلا تخيفها.
-عزيزتي! أين آدم؟

-ذهب ليحرق الرجال السود وينقذ القرية.

وهنا صرخت مونيك:
-إبراهاااام، ذهب آدم للقضاء على الكامبيون.

-لكن كيف؟ هل يستطيع رؤيتهم؟

-لا أعرف، اخبرني أنت...أنت الوسيط.

" ما كنت لأجزم فأنا لم أنظر لوجه الفتى أكثر من مرة، وشعر هذا الفتى الناعم يغطي جبهته."
-إبراهام! أفعل شيئًا.

فسألت الفتاة:
-ألم يخبرك أين هم؟
-قال إنهم في مخزن القمح القديم عند أرض سالم.

على الفور اتجهت وماتياس إلى هناك، بمجرد وصولنا تسلل إلى أنفنا رائحة كيروسين فقلت لماتياس.

-لقد حاول إحراق المكان لكن لسبب ما لم يتم الأمر.

دخلنا المخزن فلم يكن هناك أحد على الإطلاق لكني وجدت قطعة من ملابسه وبعض الدماء فقلت بقلق.
-لقد كان هنا، هذه قطعة من ملابسه.

شعرت حينها بوخز في معدتي عندما تيقنت أن الصبي في خطر.. تُرى لم هذا؟

كان يراودني نفس الإحساس عندما كان يتعرض أحد أفراد عائلتي (كسامي) لخطر ما عندما كنت أنا.

أيُعقَل أني قلق لأنه فرد من عائلتي المؤقتة والافتراضية؟ أم أن أباه إبراهيم طغت على برود ولبادة سامي؟

قال ماتياس:

-أيُعقل أن آدم وسيط ولم تعرف ذلك؟

-يبدو أنه لم يعرف أيضًا وليس لديه أي فكرة عن مسألة الوساطة ومخلوقات الظلام تلك"يبدو أن إبرهيم وزوجته وماتياس أخفوا عن الأطفال مسألة الوساطة تلك. يجب أن أعثر على ذلك الفتى".

عدت ثانيًا صفر اليدين إلى المنزل فانهارت مونيك.

-ماذا حدث له يا إبراهام؟ هل؟

-لا، لم يصبه مكروه. أعني، لم أعثر عليه بعد.

فسأل ماتياس:

- ما العمل إذًا؟ يجب العثور عليه قبل فوات الأوان.

-وتظن أني لا أعرف ذلك؟..والآن دعني أفكر.

-.....

" أظن أني قد أستعين بسامي في هذا الأمر"

تذكرت د/واثق من نفسه عندما أخبرنا شيئًا عن تتبع مخلوقات الظلام ومن ثم هُرِعت إلى قَبْو المنزل وأخذت أفتش هناك، تبعتني مونيك وماتياس.

فسألت مونيك:

-ما الذي تبحث عنه؟

فأجبت بسؤال آخر:

-أين تلك المرآة الكبيرة ذات الإطار الأبانوسي؟

-أيهم؟

-المنحوت عليها personne n'est parfait (لا أحد كامل).

-إنها بالخلف هناك..ما الذي تفعله؟

-.....

لا زلت أفتش متجاهلًا أسئلتها فصاحت بي قائلة:
-توقف وأخبرني، ما الذي تفعله؟

تنهّدت ثم قلت:
-لقد علّمني أحدُهم طريقةً لتتبّع مخلوقات الظلام..لا تُفلِح مع الجميع لكن هذا يستحق المحاولة.

فسأل ماتياس:
-كيف ذلك؟

- أي مخلوق يدخل مكان ويرحل يترك أثرًا ضعيفًا وإذا ارتكب جريمة هناك ترك أثرًا قويًا وقد أستطيع تتبعة عبر المرآة.

-.....؟!!

حملتُ وماتياس المرآة واتجهنا إلى أسرة مصيلحي، كم يبدو المكان مأسويًا، أسرة بالكامل تنتهي ويصبح المكان خاليًا وخَرِبًا..لقد تراكم عليه التراب سريعًا.

طلبت من ماتياس مساعدتي على وضع المرآة بمواجهة إحدى الجدران ثم طلبت منه الرحيل، لكنه رفض تمامًا.

وانتظرنا طويلًا كي يحل الليل.. حاولت قتل الوقت فأخذت أتفقّد المكان لأجد ذلك التنوّر (فرن بلدي بالطوب اللّبِن) منحوت عليه شيء ما. اقتربت قليلًا لأجد الآتي:

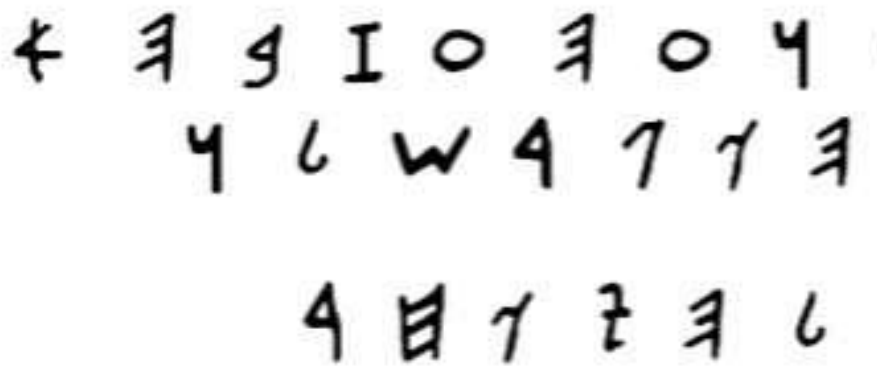

" تلك النقوش."

نقلتُ تلك النقوش على قطعة من الورق الأصفر ووضعتُها في معطفي، وبحلول الليل وضعنا المرآة في مقابل إحدى الجدران وأحضرت مصباح كيروسين ووضعته بالقرب من المرآة ليسقط ضوؤه عليها لتعكسه على الحائط فسأل ماتياس:

-حسنًا، وما الذي نفعله بالضبط؟

-الظلامي الذ ي يترك أثرًا كافيًا قد يصبح بوابة إلى عالمه أو بعده الذي جاء منه إذا استخدمت الأدوات الصحيحة.

-والمرآة من الأدوات؟

- مرآة منحوت عليها (لا أحد كامل) تعكس ضوءًا ما على جدار في المكان حيث الأثر.

-وماذا بعد؟

- لا شيء بالنسبة لك.. أما أنا فسأعبرُ باحثًا عن الصبي، فقط احرِصْ أن يظل الضوء مسلطًا حتى عودتنا وإما أغلقت البوابة علينا-

-حسنًا.

-وتذكر..لا تفكر حتى في أن تغفوَ.

أخذ الضوء شكل المرآة على الحائط، مستطيل طويل يشبه الباب، وضعت يدي مختبرًا إياه فوجدتها تنفذ عبر الجدار إلى فراغ ما.
" لقد أفلح الأمر..يجب أن أسرع..فلديّ شعور سيئ"
أحضرت خنجري ماركة الجلاد ومن ثَم عبرت تاركًا خلفي ماتياس يرتعد.

بعد لحظات

بعد عبور الأستاذ إبراهيم بلحظات ظهر هؤلاء السود حليقو الرؤوس يحملقون بماتياس دون أن يراهم..لكنه بدأ الشعور بوجودهم فبدأ يرتعد.

maktabbah.blogspot.com

لا سلطة لهم عليه قبل أن ينام، دفعوا مصباح الكيروسين ليسقط ويشعل النيران في بعض المفارش، أسرع ماتياس لإخماد النيران ليدفع أحد هؤلاء الظلاميون المرآة لتسقط.

ألقى ماتياس المفرش المشتعل من يده محاولًا أن ينقذ المرآة قبل أن.. تهشمت المرآة وتبعثرت هنا وهناك بينما تزداد النيران قوة وتأكل كل ما تقابله... المنزل يشتعل... اضطر ماتياس لينجوَ بنفسه بينما تنتشر النيران في كل مكان بالمنزل.

-يا إلهي.يا إلهي..

وقف يردد ذلك بينما يشاهد منزل أسرة مصيلحي تبتلعه النيران..

وقف يلهث وصورة النيران تنعكس في عينيه..

يالها من مصيبة..

البرد القارص، أول شيء شعرت به عندما عبرت، إنه منـزل كبـير خشبي متهالك، هناك ضوء فضي خافت لا أعرف مصدره.

maktabbah.blogspot.com

نظرت خلال إحدى النوافذ.. ظلام دامس.. أشعر حتـى إنـه يتحـرك أو إن هناك شيئًا يتحرك بداخله..لا أراه على الإطلاق.

هذا أحد أبعاد الظلام والذي يلفظ الكثير إلى عالمنا، من الأفضـل أن أخفف الزيارة قبـل أن يلحـظ أحـد المخلوقـات المترصـدة بالخـارج وجود بشري في عالمهم وإلا سألتهم بلا رحمة.

أين الفتى.؟

أخرجت خنجري باحثًا في أرجاء المنزل بحرص كـيلا أتعـرض لهجمـة مفاجئة من أحد الكامبيون. بهدوء وبحـذر أخـذت أتجـول في هـذا المكان المريـب أتفقـد حجراتـه حتـى وجـدت ذلـك الفتـى يجلـس القرفصاء في أحد أركان إحدى الغرف.

-آدم؟

-أبي؟!!

نهض الفتى مسرعًا يحتضـنني ويتشـبث بي بقـوة كـالغريق بطـوق النجاة قائلًا:

- لم أكن واثقًا من أني سأرى أيًا منكم مرة أخرى، لكن كيف حضرت إلى هنا؟ وماذا يكون هؤلاء المسوخ؟

-قصة طويلة... هيا لنخرج أولًا من هنا.

maktabban.blogspot.com

اتجهنا إلى الغرفة حيث البوابة فلم...أجدها.

" أين البوابة؟"

-أبي! ماذا يحدث؟

-لا أعرف.

" ما الذي يحدث بحق الله ياماتياس؟"

جلست والصبي في انتظار (الفرج).لا يمكن الخروج من المنزل وإلا سيبتلعنا الظلام... لا مخرج آخر... الفتى يرتعد من البرد فأعطيته معطفي... وضع الفتى يده في جيب المعطف طالبًا الدفء ليعثر على الورقة.

-أبي ما هذا؟

أخذت الورقة محاولًا قتل الوقت بحل اللغز الذي عليها

" لابد وأن هذا مفتاح اللغز لينقلني لمكان آخر"

-تلك الرموز.تبدو مألوفة، لكن ماذا تكون؟

-أبي! من أنت؟

سؤال يخترق القلب، إنه يستشعر شيئًا، حان الوقت لإخباره بالحقيقة..أو جزء منها .

أخبرته بأمر كون والده وسيطًا وأخبرته عن الوسطاء وعن الظلام وأشياء كنت أتمنى أن يخبرني بها أحدهم عندما كنت سامي وتحولت إلى وسيط لأول مرة.

مسحت على شعر الفتى كاشفًا عن جبهته فوجدت علامة باهتة "يا إلهي، إنه يتحول إلى وسيط، لقد توقعت ذلك"، أخرجت من معطفي (دواية) حبر صغيرة وقلم أحتفظ بهما لأوقات الحاجة وبدأت حل اللغزتلك الرموز!

الوتد الشبكة الريشة العين ..

"نعم إنها العبرية القديمة جدًا. سأرى إذا كنت أستطيع تذكر كل تلك الحروف وما يقابلها بالعبرية الحديثة"

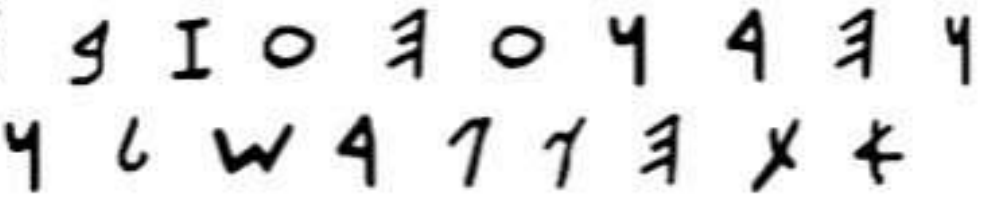

והרועחעזבהאתהכפרשלו

وْ هاروعيه عَزبَهْ أت هاكفَر شلْو

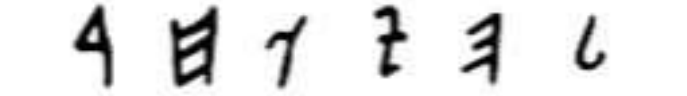

לחיכחר

لهيكحد

" تعني: وترك الراعي قريته...لتهلك!"

-يا إلهي..

-ماذا هناك يا أبي؟

-إنها ليست كلمات مفتاحية للغز الذي أقصده..إنها.مزحة، خدعة، لقد علموا أني سآتي من أجلك فحبسوني هنا بينما..

-بينما ماذا؟

-بينما يقضون على القرية

-يا إلهي!

-كم أنا غبي..أنا غبي.أنا غبي

-أهدأ قليلًا أرجوك..

-أهدأ؟ إنهم يقضون على القرية في اللحظة التي نتحدث فيها الآن، من أين آتي بالهدوء هه؟ من أين؟

في تلك الأثناء

أسرع ماتياس راكضًا إلى منزله كي يحضر مرآة أخرى.

يركض ويركض حتى وصل إلى منزله، وسط القرية ليحضر مرآة طويلة تقريبًا في حجم التي كُسرت أو أكبر قليلًا.. أحضر سكينًا ونحت عليها personne n'est parfait (لا أحد كامل)

maktabbah.blogspot.com

أخذ يعاني في نقلها من منزله بينما يتجول بها في دروب القرية، بدأ يسمع الصراخ يخرج تقريبًا من كل منزل بالقرية...رجالًا ونساءً وأطفالًا.. الكل يصرخ، لا أحد يستطيع المساعدة، فقط الوسيط يستطيع رؤيتهم ثم قتلهم..

maktabbah.blogspot.com

تابع سيره دون أن ينظر يمينًا أويسارًا ثم دخل منزل أسرة كمال... لابد وأن هناك أثرًا أيضًا به منذ أن حدثت تلك الجريمة البشعة هنا على يد أولئك الظلاميين.

maktabbah.blogspot.com

وضع المرآة أمام الحائط ثم أحضر مصباح كيروسين ووضعه لتعكس المرآة ضوءه على إحدى الجدران.

-أتمنى أن يفلح ذلك.أرجوك أن تفلح.

المخرج

انفردت بنفسي قليلًا واستغرقت في التفكير "لا أريد أن تكون هـذه فاجعة أخرى تحدث وأنا مكتوف الأيدي.. لم؟ لِمَ يحدث كل هـذا؟ ماذا يجب أن أفعل؟"

سمعت الفتى يصيح مهللًا:

-لقد ظهر المخرج.ظهرت البوابة

" أخيراً هذا (الألدغ) فلح في فعل شيء"

أسرعت إلى الحجرة ثم عبرت والفتـى لنجـد أنفسـنا في منـزل آخـر، المرآة تغيرت.

هلل ماتياس لرؤيتنا قائلًا:

-حمدًا لله... لقد أفلح الأمر.

-أين نحن؟

-في منزل أسرة كمال..المنزل الآخر احترق...قصة طويلة.

-حسنًا لنسرع الآن...يجب أن ننقذ القرية، هيا بنا.

ظل ماتياس متسمّرًا في مكانه

-ماذا هناك يا ماتياس؟

-لا أظن أنه في وسعنا إنقاذ أي أحد الآن.فات الأوان يا إبراهام.

خرجت مسرعًا أقتحم المنازل كالمجنون.لا أحد على قيد الحياة، جثث على سُرُرِ...لا حياة. "هذا أكثر مما قد أحتمل، كلما ذهبت إلى مكان.أنا وباء"، عدت إلى منزلي (منزل إبرهيم)..يبدو أن الصمت قد نال منه أيضًا. وجدت مونيك في حجرة النوم ممددة في فراشها دون حركة...لقد أصابها ما أصاب الآخرين... طلبت من ماتياس أن يصطحب آدم إلى أخته وجدَّته بباريس.

-وماذا عنك؟ أين مونيك؟

....-

ترقرقت عيناه حزنًا فقلت له:
-اذهب الآن واصطحب آدم، اترك القرية واذهب إلى المدينة.انتظرا هناك حتى موعد أول باخرة، استقلّاها وارحلا بعيدًا.

-تعال معنا.

-حان وقت الاستسلام، لم أعد أريد المزيد، لقد اكتفيت.

.....؟-

-فقط ارحل.

رحل ماتياس ومعه آدم،دخلت أنا حجرة النوم في تعب وإرهاق لم أشهد مثله من قبل...
" لا مزيد من المآسي..لم أعد أحتمل، حان وقت الاستسلام..يبدو الموت بشكلٍ ما أسهل من أي خيار آخر"

تمددت بجانب مونيك معلقًا نظري بالسقف، بدأ النوم يتمكن مني رويدًا رويدًا كنت أراهم يحاوطونني، عددًا كبيراً منهم إن لم يكونوا جميعهم، غفوتُ لبضع لحظات ثم انتفض جسدي لأستيقظ.. كان هذا الإنذار الأخير..إذا نمت فلن أستيقظ، كنت أعلم ذلك ولم أعترض.

وبينما بدأت أغفو مرة أخرى لاحظت شيئًا مكتوب على السقف، يبدو طلاءَ حديثًا لم يكن موجودًا عندما نمت أول مرة.
نادى الظلام على الغريب تطوعًا.
أقبِل...يا سائح الأزمانِ.
خلف الدروب عن الحقيقة باحثًا.
لم تهرب..بينما كان في الإمكانِ.
هدم الغريب ما بناه.. مسافرًا.
خلف الفضول كم هلك من إنسانِ.
لا تخشَ شيئًا قُمْ ونادِ تضرعًا.

خذني أيها الذئب إلى الجحيم.
حيث مكاني...

فرددت بينما يتمكن مني النوم قائلًا:
-خذني أيها الذئب إلى الجحيم... حيث مكاني.
ومن ثَم..ظلام
أبراق ورعود
دموع ووعود
رومانسية مقابر
مليئة بالورود
تُرى أين الخير في..
خطاب مردود
وعتاب مرفوض
وخطأ غير مقصود..؟

آخر الرحلة

انقشع الظلام من أمام عيني أخيراً..كنت مرهقًا، أتنفس بصعوبة وكأني لم أقم بذلك منذ فترة.

أشعر أني مخدرًا كليًا والنمل يأكل أطرافي، وجدتني ممددًا على بلاط بارد، "من أنا هذه المرة؟

نهضت جالسًا بصعوبة ساندًا رأسي على أحد الجدران. إنه مكان واسع، يبدو قصرًا. هناك ضوء فضي يأتي من مكان مجهول. بما يذكرني هذا؟

الظلام في الخارج حالك، لا أظن أني سأحب المكان هنا.

نظرت أمامي لأجد في آخر الردهة هناك كائن ما مُقيّد بسلاسل مثبتة بجدار، لا تبدو السلاسل بذلك السّمك الذي يُقيّد به كائن ضخم مثله..بشع المظهر، مشوّه، أنفاسه كصهد النيران أستشعرها من مكاني. جلست محملقًا به في دهشة

" لم أرَ شيئًا في حياتي بتلك البشاعة، يبدو أني ارتكبت خطأ سأندم عليه في القريب العاجل"

- مرحبًا أيها الفارس، كنت أتمنى أن تراني بشكل أفضل لكن.كما ترى فتلك السلاسل تمنعني من استعمال ولو شيء بسيط من قواي كي أبدو أفضل ولو قليلًا.

-الفارس؟

- أريد حقًّا أن أستعمل كرم الضيافة فأنت أول ضيف يزورني منذ سنوات طويلة، لو كان بيدي لأكرمتك ، أعترف أن بعد تلك الرحلة الطويلة عبر الأزمان أنك تستحق استراحة المحارب.

-من أنت؟

-أن الأسير، ومن تحديت المسافر من أجله..لقد بعثر اسمي بين الأزمان.

أخذت أفكر فيما قاله

الأزمانAyIyi Hare daR

مان A I H R

بالترتيب الصحيح يصبح لدينا AHRIMAN

-أهريمان؟

- فعلت كل ذلك من أجلي؟ لقد تأثرت حقًّا.

-لقد عدت إلى نفسي؟ أنا سامي؟ مجددًا؟

-كن صريحًا معي أيها الفارس..لما لم تعد لزمنك عندما أتيحت لك الفرصة؟

"عاد إلى ذهني عندما كنت في مكتبة شمس الدين يلماظ،وقع في يدي كتاب يُدعى (دليل التائة عبر الأزمان)، لقد كان فرصتي للهرب لكني فضلت البقاء، ليس فضولًا (بالكامل) لكن الجزء الأكبر لإصراري على البقاء هو الوقوف بجانب صديقي الشاهزادة وحمايته..والانتقام له عندما قُتل."

-ألم تتعلم أي شيء من قصة بندورا؟

-لن أسأل حتى كيف علمت؟

-لقد بدأت رحلتك بشكل جيد وقطعت شوطًا كبيراً..سأعترف لك أن ما فعلته من أجلي جعلني أشعر أني الأكثر فخراً في العالم..بل في العالمين، والآن لم لا تتم رحلتك وتنهي ما بدأته.

-بمعنى.

-حررني، فقط بضع قطرات من دماءك داخل ذلك القفل..أتمنى أني لا أطلب الكثير.

- لقد أفسدت كل شيء بقدرِ كاف حتى الآن، لذا لا أظن أني سأتمادى إلى ذلك الحد.

- دعني أوضح لك أمرًا، لا مخرج من هذا المكان إلا بواسطة الانتقال الآني، بما يعني أني أنا تَذْكرتك الوحيدة للخروج.

-لن تقنعني.

-ظننت ذلك أيضًا.

فجأة ظهر شابٌ ناصع البياض للوجه والشعر والأهداب والحاجب، عيناه شديدة الزرقة فلا تبدو طبيعية على الإطلاق، يرتدي الأسود.

قال أهريمان معلقًا:
-بعد أن كسرت اللعنة، أصبح بإمكان أتباعي زيارتي..وما لا تريد التنازل عنه، الآن سيُؤْخَذ بالقوة.

اقترب مني ذلك الغريب بعدائية فقال أهريمان مردفًا:
-أعرفك بـ (مالاكاي) خادمي الأمين.

بدا على وجه (مالاكاي) الاعتراض على كلمة خادم

-الآن أحضر لي ما أريد يا (مالاكاي).

أخرج شبيه الشبح هذا سيفًا لامعًا وبدأ يلوح به مهددًا ومن ثم بدأت المعركة، لقد تقاتلنا بقوة وبعنف.لم يبدُ أن أيًا منا سيغلب في أي وقت قريب.

أثناء التناحر تطايرت بعض دمائي، عن قصد أو لا على أصفاد أهريمان، وهذا ما أراده.ثم بدأ يتحرر، توقفنا عن القتال بينما صوت طقطقة يخرج من داخل قفل السلاسل.

بدأ (مالاكاي) يتراجع بخطًا بطيئة..بدا عليه القلق والخوف وهو يتمتم:

-الملعون سبع مرات! إنه يتحرر..الرحمة.

وقفت مشدوهًا لكني لم أبرح مكاني ثابتًا كالصخرة، لم أكن لأُبْدِيَ ضعفًا حتى في لحظاتي الأخيرة..إذا كان ولابد من الموت فلن أموت هاربًا كالفئران.

حوّل أهريمان شكله المسخي المشوه إلى رجل حسن الملامح..إلى حدٍّ ما، ذو شعر أسود داكن وعينين واسعتين سوداوين سوادًا داكنًا أكثر من أن يكون طبيعيًا، وقف يمدد عضلاته قليلًا ثم قال:

- يعجبني ما رأيته، أنت حقًّا تقاتل كالفارس.أتعلم؟ في زمن آخر وفي بعد آخر وفي ظروف أخرى لكنا أصبحنا صديقين، فأنت قوي وشجاع وغبي بما يكفي لتكون صديقي.

-.....

-أنت تعلم أيها الفارس أن هذا الأمر ليس شخصيًا لكن يتحتم عليّ قتلك، على الرغم من علمي من أنك لن تستطيع مبارحة المكان وكم أتمنى لو احتفظت بك كحيواني المدلل، لكن لا تعلم تلك الأيام من قد يأتي للنجدة، وفي الحقيقة لا أريد في بَدْء مشروعي الذي أعددتُه من أجل عالمكم وهناك أمور عالقة..فلا أريد في وسط التنفيذ أن تظهر وتُفسد كل شيء.

-أنت تستخدم كلمات أكثر من اللازم لتقول أنك خائف مني.فقط افعل ما يتحتم عليك فعله وأنا كذلك.

ابتسم أهريمان قائلًا:
- أنت تعجبني حقًا أيها الفارس، لكن أخشى أنها النهاية.

اقترب أهريمان مني وأنا واضع يدي في جيب سُتْرتي، وقبل أن يحاول ذلك البشع أي شيء أخرجت مسرعًا الخنجر الذي أخذته ذلك اليوم من ذاك الشبح المزيف وجرحت أهريمان في وجهه فصرخ بألم مبتعدًا عني.

وضع يده على الجرح وحملق بي للحظة مندهشًا ثم ابتسم قائلًا:
-لقد جئتَ مستعدًا، من كان يتوقع؟! سنتقابل ثانيًا أيها الفارس.

اختفى ومالاكاي وتركاني وحيدًا هناك في ذلك البعد الظلامي. الظلام بالخارج يطلي النوافذ بالسواد.

أستطيع سماع الوحوش بالخارج تزأر وتَعْوِي وتصدر ضجيجًا وضوضاء، أستطيع سماع خدشهم فوق السقف وخلف الجدران.لقد علقت.

يبدو أن هذا العالم محمية كبيرة ومفتوحة لمخلوقات الظلام وأحد أكبر منابع تصدير مخلوقات الكوابيس تلك لعالمنا.

لا بد من أن هناك بوابة مفتوحة في مكان ما بالخارج يعبر خلالها تلك المخلوقات إلى بُعدنا.. إذًا..من يريد الخروج والبحث عنها؟

" لا يمكن أن يكون أهريمان خاف من ذلك الخنجر الصغير البائس، هناك شيء آخر أخافه مبتعدًا..لكن ما هو؟.لقد علقت على ما يبدو لكن على الأقل عدت إلى نفسي.أنا سامي من جديد لكن..ما الفائدة؟"

وهنا ظهر ذلك الضيف غير المتوقع..

حالة طوارئ

أصبحت تلك الليلة موعدًا لا يستطيع أي من الوسطاء التخلف عنه.

نائم ذلك الوسيط في فراشه ليضيء هاتفُه فجأة على المنضدة بجانب فراشة ويصدر نغمة مُلِحَّة تبدو مزعجة أكثر من المعتاد..نهض ليتفقَّدها ومن ثَمَّ أسرع وبدَّل ملابسه ليرتدي الأسود ثم أحضر خنجره ماركة (الجلاد) وأسرع خارجًا.

تجلس تلك الأسرة حول مائدة الطعام لتناول العشاء، تحضر الأم الطبق الرئيسي وتبدأ في توزيع الطعام على الأطباق ليرن الهاتف..

لم يبدُ أن أيًا من أفراد الأسرة يبالي بالرد، ذهبت في ضجر لتردَّ ومن ثَم بدا على وجهها ملامح القلق، وضعت الطبق في يد زوجها وأسرعت لحجرتها لتبدل ملابسها للأسود وتحضر خنجرها مخبَئة إياه في ملابسها وانطلقت للخارج وسط دهشة الجميع.

مستغرقًا الطالب المراهق في المذاكرة وحل واجباته فإذ بصوت طَرْق متقطع على نافذة حجرته. هناك مَن يُلقِي الحصى على نافذته، وجد أنه صديقه بالأسفل مرتديًا الأسود ويقول له هامسًا -هيا..إنها حالة طارئة.

بدل الفتى ملابسه إلى الأسود بسرعة وأحضر خنجره ثم تسلل من النافذة ليرحل مسرعًا مع صديقه.

متجمعة الأسرة أمام التلفاز لمتابعة المسلسل المفضل، وفي شريط الإعلانات بالأسفل لاحظت الابنة شيئًا ما..إنه إعلان غسالات للجميع أما هي فتراه شيء آخر فقالت لا إراديًا متفاجئة.
-يا إلهي..!

حول الجميع انتباههم نحوها متسائلين، عادت إلى نفسها فتظاهرت بالتوعُّك واستأذنت للذهاب إلى حجرتها، ومن ثَم بدَّلت ملابسها للأسود ثم أحضرت خنجرها وتسلّلت للخارج..الواجب ينادي.

الوسطاء يخرجون من منازلهم ومن كل مكان في قلب الليل إلى الشوارع يرتدون الأسود ويتجوّلون وفي أهبة الاستعداد لكن لماذا؟

الزائر الغاضب

لم أرَ ذلك الزائر من قبل لكني علمت من هو، إنه شاب يبدو في الثلاثينات يرتدي الجينز وجاكت بنيّا طويلًا، شعره بني ينظر لي بغضب واضح.
"علمت الآن لم هرب ذلك المسخ"

-لم نتقابل من قبل لكن أظن أني تعرفت عليك.أنت المسافر؟

-.....

-أعلم أني ارتكبت خطأً لكن..

وهنا ضغط على أسنانه وأصدر زمجرة غضب ثم أمسك بملابسي ليثبتني بالحائط قائلًا في غضب

-عندما تكتب (فطير) بدلًا من (خطير) فهذا يُعَد خطأً، لكن أن تتحداني وتسافر عبر الزمن وتحرر الملعون سبع مرات فهذة كارثة وغباء متعمّد تستحق العقاب من أجله.

-.....

-في هذه اللحظة بالتحديد أنا متحير بين أن أقتلك أم أعذبك لفترة طويلة جدًّا ثم أقتلك.

-أنا لم أقصد أن يحدث كل هذا.

-كانت هناك فرصة للتراجع.ولم تتراجع أيها الغبي المتعجرف.

- أنا حقًّا لم أتعمد، أعلم أن أسباب بقائي قد تبدو سطحية بالنسبة لك لكني أردت مساعدة صديق.

.....-

- لم أكن أبدًا قارئًا جيدًا للتاريخ أو التاريخ غير المتعلق بقضايا الظلام على أية حال، لم أكن أعلم أن الشاهزادة قد قُتل حقًّا، حتى لو كنت أعرف لم أكن لأرحل وأتركه وسط كل هذا وحدَه.

- لم تكن هذه معركتَك، أو أي من كل هذا..لم يكن من شأنك.

-لم أكن أعلم، حتى لو علمت لم أكن لأترك صديقًا في حاجة وأرحل.

.....-

- أردت أن أكون شخصًا أفضل وصديقًا طيبًا ولو عدت بالزمن لفعلتها ثانيًا.لست نادمًا.

ضغط أكثر على أسنانه، أراد أن يقول شيئًا لكن منع نفسه، تركني مبتعدًا ويبدو أنه هدأ قليلًا فقال متمتمًا.

-معظم المصائب تحدث بسبب أشخاص ذوي نيات حسنة.

- أنا حقًا آسف لتحرير أهريمان، لكني لست آسفًا لعدم رحيلي لكني على استعداد لإصلاح ما أفسدته.

- هه، ستأسف حقًا. أتعلم؟ أظن أنك تستحق ما وصلت نفسك إليه، سأتركك هنا لتفكر جيدًا فيما أجرمتَ، أما أنا فسأرحل وأتركك خلفي ولن أنظر للخلف ثانيًا.أيها البشري المتعجرف.

لن أتوسل، أعلم أني أستحق ما وصلت إليه، أعلم أني كنت غبيًا لأقع في خدعة ناحش ووندال. ارحل أيها المسافر ودعني في الجحيم الذي أردته لنفسي.

-ليتني تركتك تموت عندما أتيحت لي الفرصة... وداعًا أيها الفارس.

وهكذا تركني المسافر في عزلتي بهذا المنفى الظلامي، قررت ترك قصتي عبرة لمن يعثر عليها ليعتبر.إذا زار هذا المكان شخص ما يومًا ما.

أردت أن أعتذر لعائلتي ولإخواني من الوسطاء..لقد كنت فارسًا فاشلًا وأخًا مستهترًا وصديقًا سيئًا وأسوة سوداء.. لا يبدو أن هناك مخرجًا من هذا المكان.. أنا عالق في هذا الجحيم.

- أين المخرج.؟ كيف المفر.؟

في تلك الأثناء

لا زال الوسطاء يتوافدون إلى الشوارع، الأمر يبدو خطيراً.
أوقظ الأب ابنه الشاب وارتديا ملابسهما السوداء ثم خرجا إلى الشارع تاركًا هاتفه الجوال مفتوحًا على هذه الرسالة، إلى كل الوسطاء، إنه النفير العام.

ارتدوا ملابس القتال وانطلقوا إلى الشوارع.. كونوا على أتم الاستعداد.. الشر قادم.

انتشر الوسطاء في الشوارع متأهبين، فظهرت فجأة تلك المخلوقات الظلامية مختلفة الأشكال والأحجام والأنواع تهاجم من تقابله في الشوارع، فبدأ الوسطاء بالمقاومة.

معارك ودماء في كل الشوارع وفي أي مكان يدخله الظلام، مخلوقات الكوابيس سَرحت في الظلام. تترصد المارة، العالم يصطدم بقاع الحضيض.

الوسطاء يجولون الشوارع وينقذون من يمكن إنقاذه.. أهريمان يتوعد.. الناس تئن والعالم يضمحل.العالم الذي نعرفه... قد لا يستحق الإنقاذ.. لكنه مازال لنا... تُرى..أين النجاة؟

"لا تسـجن معرفتك و بادل كتبك"

القراءة هي الحياة، فنحن نقرأ لنتعرف على خـبرات وحكايـات الآخرين، نقرأ لنتعلم شيء جديد، لنتعرف من قرب على عـوالم قـد لا نعرف عنها شيء، لذا صديقي القارئ لا تسـجن معرفتـك وبـادل كتبك مع الآخرين.

فلا تجعل هذا الكتاب يقف بين يدك وحـدك، فمـن خلالـه قـد تكون أستمتعت، وتذوقت متعة القراءة، وقـد تكـون تعرفـت عـلى شيء جديد، فلا تبخل عن من حولك بهذه المتعة.

موقع دار الكتب
"نحن نحترم الكتاب"